

جامعة بيروت العربية



# المؤرخ جرجور يالتوري ونائبه الملك كلوفيس

من خلال كتاب تاريخ الفرنجة

خزانة الكتب التاريخية  
جرجور

دكتور

محمود سعيد عمران

مدرس تاريخ العصور الوسطى  
بجامعة قنبرية وبيروت العربية





جَامِعَةُ بَيْرُوتِ الْعَرَبِيَّةِ

الْمَوْخَّجُ جُجُورِي الْتَوْرِي  
وَنَائِخُ الْمَلِكِ كَلُوفِسْ  
مِنْ خِلَالِ كِتَابِ تَارِيخِ الْفَرَنْجَةِ

دكتور

محمود سعيد عمران

مدرس تاريخ المصور الوسطى  
بجامعة الإسكندرية وبيروت العربية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



# المؤرخ جريجوري التوري ونأيحه للملك كلوفين من خلال كتاب تاريخ الفرنجة

من الأحداث الهامة في تاريخ الغزوات الجرمانية قيام دولة الفرنجة، لأنها الدولة الوحيدة التي استطاعت البقاء في أوروبا على حساب الامبراطورية. كما أن دولة الفرنجة التي اتخذت غالبية موطنها لها قد نجحت في مزج الحضارة الرومانية بمبادئ الفرنجة وتقاليدهم. وكان ذلك مرجعه إلى اعتناق الفرنجة للمسيحية على المذهب الكاثوليكي، وهو المذهب الذي إعتنقه الباباوات في روما، على العكس من العناصر الأخرى التي دانت بالمذهب الأريوسي<sup>(١)</sup>.

وتعددت الروايات حول ظهور الفرنجة، فقد رأى البعض أن ظهور الفرنجة كان بظهور زعمائهم الأوائل، وهم جينوبود Genoboud، وماركومر Marcomer، وسونو Sunno الذين هاجموا مدينة كلوني Cologne وهزموا

---

١ - يلسب المذهب الأريوسي إلى آريوس Arius وكان أحد رجال الدين بمدينة الاسكندرية . وكانت آراء آريوس التي ظهرت حوالي ٣١٨ م تدور حول الثالث المقدس وهو الأب والابن والروح القدس، فهو يرى أن الأب وهو الله موجود قبل الابن وهو السيد المسيح، وعلى ذلك لا يمكن أن يتعادل الأب والابن في المستوى والمقدرة وهو ما نادى به أثناسيوس Athanasius أحد رجال الدين بالإسكندرية أيضاً. عن ذلك ولزيد من التفاصيل أنظر: Lot, F., The End of Ancient World, London 1931, p. 43, Painter, S., A History of The Middle Ages, New York, 1954, p. 16.

على يد قوات الامبراطورية<sup>(١)</sup>. ولكنه يمكن القول أن كلوديو Clodio قد وضع اللبنة الأولى لدولة الفرنجة عندما انتصر على قوات الامبراطورية واستولى على كامبريا Cambria ثم على البلاد الواقعة على نهر السوم Somme. ومن كلوديو جاءت السلالة التي حكمت دولة الفرنجة لزمان طويل، فقد خلفه مروفتش Merovech (ت ٤٥٦ م) ثم تشيلديريك Childeric (٤٥٨ - ٤٨١ م)<sup>(٢)</sup>.

وكان تشيلديريك من رؤساء الفرنجة السالين وأعان قوات الامبراطورية على صد غارات السكسون والقوط الغربيين وأدرك بوضوح ميزة الاحتفاظ بشمال غالة مفتوحاً أمام زحفه. وفي أثناء ذلك كان الفرنجة البريون ينتشرون على يمين الراين ويساره من مراكزهم في كلوني وماينز Mayence<sup>(٣)</sup>.

وعندما توفي تشيلديريك خلفه على عرش الفرنجة ابنه كلوفس Clovis (٤٨٢ - ٥١١ م) الذي يعتبر للمؤسس الحقيقي لدولة الفرنجة نظراً للدور الكبير الذي لعبه في السياسة الداخلية والخارجية في غالة وأثر ذلك كله على أوروبا العصور الوسطى<sup>(٤)</sup>.

انقسمت دولة الفرنجة بين أولاد كلوفس الأربعة بعد وفاته طبقاً للعادات الجرمانية، ولا شك أن ذلك كان له أثره في إضعاف دولة الفرنجة. وقد ظلت دولة الفرنجة رغم هذا التقسيم وحدة واحدة لها عواصم أربعة هي ريمز Rheims وأورليان Orleans وباريس Paris وسواسون Soissons. وفي عام ٥٥٨ م عادت الوحدة مرة أخرى لدولة الفرنجة عندما

١ - سجل هذه المعلومة مؤرخ يدعى الكسندر Alexander وكتابه مفقود ونقل عنه المؤرخ جريجوري التوري انظر:

Gregory of Tours, History of Franks, tr. Lewis Thorpe, Penguin Books, 1974, p. 120.

وهذا الكتاب الذي رجعنا إليه في هذا البحث ويشير الباحث إليه بالحروف G. T., H. F.

G. T., H. F., p. 125

(٢)

Moss, The Birth of The Middle Ages, Oxford, 1963, p. 63.

(٣)

Stephenson, C., Mediaeval History, New York, 1951, p. 53

(٤)



توفي أولاد كلوفس عدا لوثير الاول Lothar I (ت ٥٦١ م). ثم ما لبثت أن عادت دولة الفرنجة في التفكك مرة أخرى بعد وفاة لوثير بين أولاده الأربعة، فقد حكم تشاربيرت Charibert (ت ٥٧٦ م) في باريس، وحكم سيجبيرت Sigibert (ت ٥٧٥ م) في ريمز، وتشلبريك Chilperic في سواسون وجونترام Guntram (ت ٥٩٣ م) في أورليان<sup>(١)</sup>.

وحوالي ذلك الوقت يبرز لنا مؤرخ لتاريخ الفرنجة، هو المؤرخ جريجوري أف تور Gregory of Tours، ليقدم لنا مؤلفاً عظيماً عن تاريخ دولة الفرنجة يعد المصدر الأول عن الفرنجة في هذه الحقبة، ويدونه كان من الجائز ان ينظم جانب كبير من تاريخ هذه الدولة التي غيرت وجه التاريخ في مطلع تاريخ أوروبا الوسيط. وفي هذا البحث يقوم الباحث بالقاء الضوء على المؤرخ جريجوري التوري مع تحليل لكتابه تاريخ الفرنجة، وتأريخه للملك كلوفس من خلال هذا الكتاب.

ولد جريجوري فلورنتيوس Gregory Florentius المعروف بجريجوري أف تور أو جريجوري التوري في الثلاثين من نوفمبر عام ٥٣٩ م. وكان مولده في مدينة كليرمونت - فراند Clermont Ferrand التي تعرف في عصره باسم أرفرونوس Arvernus عاصمة مقاطعة أرفرنيا Arvernia. وينحدر جريجوري من أسرة عريقة كان لها سمعتها كمحدي الامر الحاكمة التي شاركت في خدمة الكنيسة. فقد كان والده نبيلًا وجده كذلك أما والدته أرمنتاريا Armentaria فهي حفيذة القديس جريجوري أسقف لانجر Langer ٥٠٧ - ٥٣٩ م، والاخت الكبرى للقديس تريكيوس Tetricus الذي خلف الجد في أسقفية لانجر ٥٣٩ - ٥٧٢ م<sup>(٢)</sup>. كما أن أخاه بطرس Peter كان يعمل شماساً في كنيسة لانجر<sup>(٣)</sup>. والواقع أن المتنبع لأفراد عائلة جريجوري يجد العديد من رجال الدين والدنيا البارزين الذين لعبوا دوراً رئيسياً في المجال الروحي والدنيوي.

(١) G. T., H. F., p. 217. (٢) G. T., H. F., p. 212. (٣) G. T., H. F., pp. 259-260.

لم ينعم جريجوري بقضاء فترة صباه مع والده ، فقد مات الأب عندما كان جريجوري صبياً ، فاضطرت والدته للهجرة إلى برجانديا Burgundy لتتولى شئون ممتلكاتها هناك<sup>(١)</sup>. وهكذا حرم جريجوري من مسقط رأسه ووالده في آن واحد . ولكن ذلك لم يستمر طويلاً ، فعندما بلغ الثامنة من عمره عاد مرة أخرى إلى كليرمونت - فراند ليعيش مع عمه القديس جالوس Gallus أسقف المدينة ٥٢٥ - ٥٥١ م . ولكن رعاية العم للطفل لم تدم طويلاً فقد مات العم وجريجوري لا يزال في الثانية عشر من عمره . ويبدو أن الحياة الدينية قد استهوت الصبي فاستمرت إقامته مع رئيس دير المدينة افيئوس Avitus الذي أصبح أسقفاً للمدينة في عام ٥٧٢ م خلفاً للأسقف كوتينوس Cautinus ، الذي وصفه جريجوري بكرم الضيافة وحسن المعاشرة<sup>(٢)</sup> .

ومن كليرمونت قام جريجوري بعدة زيارات لعل أهمها زيارته إلى عم والدته القديس نيسيتيوس Nicetius أسقف مدينة ليون Lyon ٥٥١ - ٥٧٣ م ، الذي وصفه جريجوري بدماثة الخلق ، كما تحدث عن زيارته لابن عمه القديس يوفرونينوس Eufronius أسقف مدينة تور<sup>(٣)</sup> . والواضح أن الإقامة قد طابت لجريجوري في هذه المدينة ولا شك أنها كانت عزيزة عليه ، فقد كان من بين الثمانية عشر أسقفاً الذين تولوا رئاسة الأسقفية خمسة من أقاربه . فانخرط جريجوري في السلك الكنسي ودخل في خدمة الكنيسة .

وفي عام ٥٦٣ م أي عندما بلغ جريجوري الرابعة والعشرين من عمره منح لقب شماس في كنيسة تور ، ولما توفي يوفرونينوس في عام ٥٧٣ م ، وكان جريجوري قد أصبح معروفاً في المدينة ، بالإضافة إلى خدمة عائلته للكنيسة ، فلا غرابة أن يتم انتخابه ليكون أسقفاً للمدينة ، ووافق الملك الفرنجي سيجيبيرت Sigibert ٥٦١ - ٥٧٥ م ، على هذا الانتخاب<sup>(٤)</sup> ،

G. T., H. F., pp. 229-230. (٢)

G. T., H. F., p. 8. (١)

G. T., H. F., p. 9. (٤)

G. T., H. F., pp. 230-231. (٣)

وبذلك أصبح جريجوري الأسقف التاسع عشر لمدينة تور ، وظل في هذا المنصب حتى وفاته في السابع عشر من نوفمبر ٥٩٤ م ، بعد أن خدم واحداً وعشرين عاماً ، ومات عن خمس وخمسين عاماً .

وكان منصب الاسقف الذي تولاه جريجوري من المناصب الهامة في غالة الميروفنجية بصفة خاصة، ولعل ذلك مرجعه أن غالة كانت من أولى الدول التي اعتنقت المذهب الكاثوليكي الذي يدين به البابا في روما ، في الوقت الذي كانت أوروبا العصور الوسطى على غير ذلك . ومن هنا كانت مساندة البابا لدولة الفرنجة ومساندة الفرنجة للبابا . والحقيقة أن منصب الاسقف كان له مسؤوليات ضخمة وكان هؤلاء الاساقفة يستمرون في مناصبهم حتى وفاتهم ، ويتمتعون باحترام الجميع وتقديرهم ولهم من السلطة والحصانة ما يكفي لحمايتهم . وإذا كانت هذه هي القاعدة فقد كان هناك بعض الاستثناءات . فقد اغتيل اسقف روان Rouen في كاتدرائته عام ٥٨٦ م<sup>(١)</sup> ، كما تم نفي أسقف ريمز خارج البلاد لإتهامه بمحاولة قتل الملك تشيلديبرت الثاني Childebert (ت ٥٦٧ م)<sup>(٢)</sup> . وليس لنا أن نتتبع حياة الاساقفة في هذه المرحلة ونكتفي بهذه الامثلة . غير انه يمكن القول أن الاساقفة كانوا يمثلون القيم الروحية للمذهب الكاثوليكي وكانوا سفراء لهم في المؤتمرات الدينية والسياسية التي كان يمثلها العديد من اليهود ومن الجماعات الأريوسية<sup>(٣)</sup> .

ومع بداية تولي جريجوري أسقفية تور أدرك حاجته الملحة إلى المنطق الواضح لمناقشة هذه العناصر ، هذا بالإضافة إلى القدرة على الجدل بالحجج والبراهين . وتبدو هذه الظاهرة واضحة في كتابات جريجوري ، فقد تناول قصة أحد الدجالين الذين ظهروا في ضواحي مدينة آرل Arles<sup>(٤)</sup> ،

G. T., H. F., p. 463.

(١)

G. T., H. F., p. 376-7.

(٢) أفاض جريجوري في الحديث عن هذه المؤامرة انظر :

G. T., H. F., pp. 310 - 311

(٣) عن بعض جوانب هذه المؤتمرات انظر على سبيل المثال :

G. T., H. F., pp. 584 - 6.

(٤)

كما تناول أيضاً جداله مع أحد العناصر الأروسية حول الروح القدس The Holy Ghost <sup>(١)</sup> ، هذا فضلا عن مناظرة جريجوري لأحد رجال الدين اليهودي يدعى بريسكوس Priscus ، وبعض الذين ينكرون قيامة السيد المسيح <sup>(٢)</sup> . ولقد أفاض جريجوري في ذكر هذه الاحداث والقى عليها أضواء كثيرة مما يشير إلى قدرته على المناقشة وإيمانه بالمذهب الكاثوليكي. فلقد كان جريجوري مثلاً طيباً للاساقفة المدافعين عن المثل والفضيلة بما لهم من تأثير روحي على الشعب .

ويرى جريجوري أن مهمة الأساقفة لا تقتصر على القول دون العمل فالأساقفة مسؤولون عن الكنائس والأديرة التي تقع في نطاق أسقفياتهم وعليهم القيام ببناء المزيد من الكنائس والأديرة وزيارتها من وقت إلى آخر لتتبع أحوالها ، فضلا عن الإشراف على الممتلكات التي تتبعها من أراض زراعية وغير ذلك . ويقدم لنا جريجوري أمثلة على ذلك فقد ذكر أن إثيريوس Aetherius أسقف ليزيو Lisieux كان يذهب الى الحقول ويجعل فأسه ويشارك الفلاحين أعمالهم <sup>(٣)</sup> . ولعل في ذكر هذه الامثلة ما يجعل إثيريوس مثلاً يحتذى في غالة الميروفنجيه التي ضمت إحدى عشر كاتدرائية في عصر جريجوري .

وبحكم موقع جريجوري بوصفه أسقفاً لمدينة تور كان يشرف على ثمانى أسقفيات منها أسقفية ماينز Mans وارين Rennes وأنجرز Angers ونانت Nantes . وواقع الأمر أن جريجوري عندما تولى منصبه في مدينة تور كانت كاتدرائيتها وهي كنيسة القديس مارتن Martin (ت ٣٩٧ م) <sup>(٤)</sup> قد أصابها حريق في عهد سلفه ، فتولى جريجوري إعادة بنائها وقد تم ذلك في عام ٥٨٠ م . وقد أصبحت أكثر ارتفاعاً عما كانت عليه من قبل <sup>(٥)</sup> .

G. T., H. F., pp. 329 - 33, 560 - 6. (٢)

G. T., H. F., p. 96. (٤)

G. T., H. F., pp. 307 - 10. (١)

G. T., H. F., p. 368. (٣)

G. T., H. F., p. 601. (٥)

وألحق بها منزل خاص له ، وفي هذا المنزل كان يتقابل مع زائريه الذين يقدون إلى المدينة ، ومن هؤلاء الزائرين سيمون Simeon اسقف أرمينيا بعد نفيه من بلاده . وسيمون هذا هو الذي ذكر للاسقف جريجوري أحداث سقوط انطاكية التي وقعت في عام ٥٧٣ م وهي التي سجلها جريجوري في كتابه <sup>(١)</sup> .

وكانت علاقة جريجوري بالحكام علاقة طيبة للغاية ففي الفترة التي تولى فيها أسقفية مدينة تور والتي استمرت ما يقرب من اثنين وعشرين عاماً كانت مدينة تور خاضعة للملك سيغيبيرت Sigibert (ت ٥٧٥ م) ثم تشيلبيرك Chilperic (ت ٥٨٤ م) ومن بعده تشيلدبرت الثاني Childbert II (ت ٥٩٥ م) . وكان جريجوري موضع ثقة هؤلاء جميعاً ، وقد زار جريجوري الملك تشيلبيرك في قصره الذي كان مقاماً في نوجنت Nogent على شاطئ نهر مارن Marne شرق باريس في عام ٥٨١ م وشاهد بنفسه الهدايا الذهبية والفضية التي أرسلها الامبراطور البيزنطي طيبريوس الثاني Tiberius II ٥٧٨ - ٥٨٢ م <sup>(٢)</sup> ، كما ذهب مبعوثاً من قبل الملك تشيلدبرت الثاني إلى الملك الفرنجي جونترام Guntram (ت ٥٩٣) ، وذلك في عام ٥٨٧ م ، واتجه إلى مدينة شالون Chalons لإزالة الشكوك التي انتابت نفس الملك جونترام حول معاهدة أندلوت Andelot الموقعة في الثامن والعشرين من نوفمبر عام ٥٨٧ م <sup>(٣)</sup> ، كما أن جريجوري زار البابا جريجوري الأول (٥٩٠ - ٦٠٤ م) .

وبالرغم من الرابطة القوية التي كانت تجمع جريجوري ببلوك الفرنجة ،

G. T., H. F., pp. 582 - 3.

(١)

للمزيد من التفاصيل عن سقوط انطاكية في يد الفرس في عصر جستين الثاني Justin II

(٥٦٥ - ٥٧٨ م) انظر

Procopius, History of War, tr. H. B. Dewing, Harvard, 1971, 11, VI, 15 - 16.

G. T., H. F., p. 323.

(٢)

G. T., H. F., p. 494.

(٣)

وعن النص الكامل للمعاهدة راجع صفحات ٣٠٣ - ٣٠٥ للمصدر نفسه.

فإنه كان يعارض بعض أعلامهم وخاصة أعمال الاعتقال التي سادت دويلات الفرنجة في هذه المرحلة ، كما دافع عن رجال الدين الذين اتهموا بالعمل ضد الملوك ، وعلى سبيل المثال عندما دافع عن الأسقف بريكتستاتوس Praetextatus أسقف روان Rouen في اجتماع باريس عندما اتهم بالعمل ضد رغبات الملك تشيلبريك<sup>(١)</sup> . كما أن جريجوري قاوم بكل شدة رغبات الملك تشيلبرت الثاني في محاولاته لفرض ضرائب جديدة على سكان مدينة تور ولم يتوقف جريجوري عن المعارضة حتى توقف محصلو الضرائب عن جمع الضرائب الجديدة<sup>(٢)</sup> .

وقد كتب جريجوري أربع مؤلفات ، الأول وهو كتاب تاريخ الفرنجة The History of Franks ، والثاني يتعلق بالمعجزات Miracles ، والثالث عن آباء الكنيسة The Fathers والرابع تفسيرات على سفر المزامير في العهد القديم Commentaries on the Psalms<sup>(٣)</sup> .

ولعل أكثر هذه الكتب أهمية للمؤرخ هو كتاب تاريخ الفرنجة موضوع الدراسة . والكتاب نشر باللغة الإنجليزية في لندن عام ١٩٧٤ وهي النسخة التي رجع إليها الباحث . وهذا الكتاب مكون من عشر فصول خصص المؤرخ تسعة منها لتسجيل أحداث دولة الفرنجة حتى عام ٥٩١ م . والمؤرخ يسجل الأحداث بالسنوات ويؤرخ لها بسني حكم الأباطرة وملوك الفرنجة الذين يؤرخ لهم شأنه في ذلك شأن معظم معاصريه من المؤرخين .

والفصل الأول من كتاب تاريخ الفرنجة يتكون من ثمانية وأربعين موضوعاً ويبدأ مع بداية الخلق منذ آدم عليه السلام وينتهي بأحداث وفاة القديس مارتن في عام ٣٩٦ م ، وهي السنة الثانية من حكم الإمبراطور أركاديوس Arcadius (٣٩٥ - ٤٠٨ م) في القسطنطينية ، وحكم هونوريوس

G. T., H. F., pp. 275-283.

(١)

G. T., H. F., pp. 315-7.

(٢)

G. T., H. F., p. 602-3.

(٣)

Honorius ( ٣٩٥ - ٤٢٣ م ) في روما بعد وفاة والدهما الامبراطور  
ثيودوسيوس الأول Theodosius I ( ٣٧٩ - ٣٩٥ م ) . كما أشار المؤلف<sup>(١)</sup> .

ويغلب على هذا الفصل الطابع الديني ، ولكن المؤرخ قدم لنا مادة  
تاريخية طيبة عن الامبراطور فالنز Valens ( ٣٦٤ - ٣٧٨ م ) ومعركة  
أدرنه Adrianpole ( ٣٧٨ م ) التي قتل فيها الامبراطور على أيدي القوط ،  
كما قدم لنا مادة تاريخية عن الامبراطور ثيودوسيوس الأول وعن دخوله  
القسطنطينية منتصراً وكيف أنه قبض على خصمه مكسيموس Maximus<sup>(٢)</sup> .  
وتناول المؤرخ حركة التجارة من الهند إلى مصر عن طريق مدينة القازم<sup>(٣)</sup> .

والفصل الثاني يتكون من ثلاثة وأربعين موضوعاً ، ويبدأ بالأحداث  
التي تلت وفاة القديس مارتن حتى موت الملك الفرنجي كلوفس . ويغلب  
على هذا الفصل أيضاً الطابع الديني . ورغم ذلك فقد أورد به المؤرخ مادة  
تاريخية عن الوندال Vandals وبداية زواجهم إلى غالة واضطهادهم للمسيحيين  
الذين يدينون بالمذهب الكاثوليكي ، كما تحدث عن تحركاتهم وعبورهم إلى  
الشمال الإفريقي ونهاية دولتهم<sup>(٤)</sup> . كما تناول جانباً من الحرب التي دارت  
بين السكسون Saxons والفرنجة ، وكيف انتصر الملك الفرنجي تشيلديريك  
عليهم<sup>(٥)</sup> . وتناول المؤرخ أيضاً استعداد الهون Huns لغزو غالة ( ٤٥١ م ) ،  
وقدومهم إلى بانونيا Pannonia ، وحرق مدينة متز Metz ، ثم غزوم  
لمدينة أورليان تحت قيادة زعيمهم أتिला Attila ( ت ٤٥٤ م ) وانسحابهم<sup>(٦)</sup> .  
وفضلاً عن ذلك قدم لنا المؤرخ لاجتياح الهون لاقليم أكويليا Aquileia  
الذي يقع على الطريق الشمالي للبحر الادرياتيكي وتقدمهم الى ايطاليا<sup>(٧)</sup> .

وأهم ما أورد المؤرخ في هذا الفصل الاحداث المتعلقة بعصر الملك  
كلوفس . فقد تناول المؤرخ عصر كلوفس في موضوعات متعددة في مادة

G. T., H. F., p. 92. (٢)  
G. T., H. F., pp. 106-8. (٤)  
G. T., H. F., pp. 114-6 (٦)

G. T., H. F., p. 97. (١)  
G. T., H. F., p. 75. (٣)  
G. T., H. F., p. 132. (٥)  
G. T., H. F., p. 118. (٧)

تاريخية وفيرة . ويقدم الباحث في نهاية هذا البحث مبحثاً خاصاً عن المادة التاريخية التي قدمها المؤرخ عن عصر الملك كلوفس<sup>(١)</sup>.

وفياً يتعلق بالفصل الثالث فقد قدم لنا المؤرخ في هذا الفصل سبعة وثلاثين موضوعاً. ويبدأ هذا الفصل بتقسيم دولة الفرنجة بعد وفاة كلوفس في عام ٥١١م بين أولاده الأربعة ثيودريك Theuderic (ت ٥٣٤م)، تشلودومر Chlodomer (ت ٥٢٤م)، تشيلدبرت (ت ٥٥٨م)، ولوثير الأول (ت ٥٦١م)<sup>(٢)</sup>. وينتهي هذا الفصل بالأحداث المتعلقة بموت - حفيد كلوفس - الملك الفرنجي ثيودبرت Theudebert (ت ٥٤٨م) ابن الملك ثيودريك<sup>(٣)</sup>.

وفي هذا الفصل يبدأ الجانب الديني يخف تدريجياً في كتابات المؤرخ الذي يقدم جوانب تاريخية وفيرة تتعلق بملوك دولة الفرنجة . ومن معالم هذا الفصل ما أورده المؤرخ عن القوط Goths . فقد تحدث عن القوط الغربيون Visigoths في أسبانيا وبصفة خاصة عن عصر الملك ثيودا Theuda (٥٣١-٥٤٨م). كما تحدث عن القوط الشرقيين Ostrogoths وتناول الحديث عن الملك ثيودريك (٤٩٣-٥٢٦م)، ووفاته والأحداث التي وقعت في إيطاليا بعد وفاته<sup>(٤)</sup>.

وفي الفصل الرابع تناول المؤرخ واحداً وخمسين موضوعاً. ويبدأ هذا الفصل بوفاة الملكة كلوتيلد Clotild - زوجة الملك كلوفس في مدينة تور (عام ٥٤٤م) ونقل جثمانها إلى مدينة باريس<sup>(٥)</sup>. وينتهي بأحداث موت الملك الفرنجي سيجمبرت عام ٥٧٥م<sup>(٦)</sup>. ومن الموضوعات البارزة في هذا الفصل الحرب التي دارت في عام ٥٥٤م، بين قوات الامبراطور البيزنطي جستنيان الأول Justinian I (٥٢٧ - ٥٦٥ م) والقوط الغربيين في أسبانيا وإلتصار قوات جستنيان على الملك القوطي أجىلا Agila (٥٤٩ - ٥٥٤م)<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر ما يلي ص ٢٦ وما بعدها .

(٢) G. T., H. F., pp. 187-9 (٤) G. T., F. H., p. 193. (٣) G. T., F., H. p. 162. (٢)

(٥) G. T., H. F., p. 202. (٧) G. T., H. F., pp. 247-9. (٦) G. T., H. F., p. 197. (٥)



كما تناول المؤرخ في هذا الفصل ثورة العناصر السكسونية وخروج الملك لوثير الاول لمحاربتهم واجتياحه لثورنجيا Thuringia ومساندة الثورنجيين للسكسون ، والمركة التي دارت بين الفرنجة والسكسون في عام ٥٥٥ م وسقوط العديد من القتلى من كلا الجانبين وما تلى ذلك من عقد الهدنة بين الطرفين وعودة لوثير إلى وطنه<sup>(١)</sup> .

وتحدث جريجوري أيضاً عن عودة الهون لغزو غالة في عام ٥٦٦ م ، وتصدى الملك سيجبرت لهذا الغزو ولكنه لم يوفق رغم دهائه ومكره فوقع في الأسر بعدما حاصره الهون . وما تلا ذلك من أحداث انتهت باطلاق مراح سيجبرت بعد ما قدم عدداً كبيراً من الهدايا لخان الهون<sup>(٢)</sup> .

وسجل المؤرخ في هذا الفصل أيضاً نزوح اللبارد Longobards إلى إيطاليا تحت قيادة ملكهم البوين Alboin (٥٧٦-٥٧٣ م) وهي الأحداث التي وقعت في عام ٥٨٦ م ، كما تحدث عن وفاته وقيام اللبارد بتعيين خلف له هو الملك كلفو Chelph (ت ٥٧٤ م)<sup>(٣)</sup> . وعن اللبارد أيضاً تحدث المؤرخ عن دخولهم إلى غالة تحت قيادة آمو Amo وزابان Zaban ورودان Rodan في عام ٥٧٤ م<sup>(٤)</sup> .

والفصل الخامس يحتوي على خمسين موضوعاً ، ويبدأ بحكم الملك تشيلدبرت في عام ٥٧٥ م<sup>(٥)</sup> ، ينتهي في عام ٥٨٠ م بالأحداث التي رواها جريجوري عن تنبأ سالفوس Salvius أسقف مدينة ألب Albi بما حدث للملك تشيلدريك<sup>(٦)</sup> . ويحتوي هذا الفصل على بعض الجوانب المتعلقة بالاساقفة والكنايس داخل غالة وجانباً عن الأحداث المتعلقة بملوك الفرنجة الذين يؤرخ لهم . ويميز هذا الفصل حديث المؤرخ عن الحرب التي دارت بين

G. T., H. F., p. 223. (٢)

G. T., H. F., p. 210. (١)

G. T., H. F., pp. 239-41. (٤)

G. T., H. F., pp. 523-6. (٣)

G. T., H. F., p. 322-3. (٦)

G. T., H. F., p. 254. (٥)

السكون والسوابيين Swabians بعد ما رحل الملك المباردي البوين إلى إيطاليا<sup>(١)</sup>، والحرب التي دارت بين الفرنجة وبين إقليم بريتاني Britany وكيف تم خضوع هذا الإقليم للفرنجة في عام ٥٧٨ م<sup>(٢)</sup>.

كما قدم لنا المؤرخ مادة تاريخية عن عهد الامبراطور طيبوريوس وكيف تولى العرش بعد موت الامبراطور جستين الثاني Justin II (٥٦٥ - ٥٧٨ م)، هذا بالإضافة إلى بعض الجوانب المتعلقة بالامبراطورية البيزنطية وخاصة ما يتعلق بالحرب مع الامبراطورية الفارسية وعودة الجيوش البيزنطية منتصرة<sup>(٣)</sup>.

ويضيف المؤرخ في هذا الفصل جانباً جديداً هو الحديث عن الضرائب الجديدة التي فرضها الملك تشيلبريك<sup>(٤)</sup>، كما تحدث عن الوباء الذي اجتاح إقليم غالة في أغسطس عام ٥٨٠ م، وكان سبباً في هلاك الكثير من المواطنين ومنهم ابن الملك تشيلبريك الذي لم يكن قد عمد بعد<sup>(٥)</sup>.

والفصل السادس يتكون من ستة وأربعين موضوعاً، ويبدأ بأحداث عام ٥٨١م الخاصة بتحالف الملك تشيلدبرت في باريس مع أخيه غير الشقيق الملك تشيلبريك في سواسون، بعد ما نقض الأول تحالفه مع أخيه غير الشقيق أيضاً جونتام في أورليان وذلك بسبب عصيان الوالي مومولوس Mummolus<sup>(٦)</sup>، وينتهي هذا الفصل بأحداث عام ٥٨٤م، ومنها اغتيال الملك تشيلبريك في قصره بالضيقة الملكية التي كانت قائمة في شاز Chelles الواقعة على بعد اثني عشر ميلاً شرقي باريس. وقد تم اغتيال الملك أثناء عودته من رحلة صيد<sup>(٧)</sup>.

وقد ورد في هذا الفصل أحداث تاريخية ودينية تميزت بالطابع

G. T., H. F., pp. 290-2. (٢)

G. T., H. F., pp. 291-2. (٤)

G. T., H. F., p. 327. (٦)

G. T., H. F., pp. 272-3. (١)

G. T., H. F., pp. 292-4. (٣)

G. T., H. F., pp. 296-8. (٥)

G. T., H. F., p. 379. (٧)

الأسطوري، ولكنه حوى مادة تاريخية طيبة خاصة عندما تحدث عن عودة السفارة الفرنجية في عام ٥٨١ بعد ثلاث سنوات، وهي السفارة التي كان قد أرسلها الملك تشيلبريك إلى الامبراطور البيزنطي طيبريوس، والصعاب التي لاقتها السفارة في طريق العودة بسبب اندلاع الحرب في مدينة مرسيلىا Marseilles بين الاخوين الشقيقين تشيلبريك وجونترام مما يشير إلى أن السفارة كانت قادمة عن طريق البحر. كما أشار إلى أن السفارة قد عادت بعد ما انجزت الأعمال التي كانت موكلة اليها، وأنها عادت بحملة بالهدايا التي أرسلها الإمبراطور طيبريوس<sup>(١)</sup>.

كما تحدث المؤرخ جريجوري عن عودة سفارة فرنجية في عام ٥٨٢م، وهي السفارة التي كان الملك تشيلبريك قد أرسلها إلى أسبانيا بفرض زواج ابنته ريجونث Rigunth من ريكارد Recared ابن الملك القوطي ليوفيجيلد Leuvigild (٥٧٠-٥٨٦م). وقدم لنا أيضاً مادة تاريخية طيبة عن أحوال إسبانيا القوطية ومحاولات الامبراطور البيزنطي طيبريوس استعادتها كما تحدث عن انتشار الديانة المسيحية على المذهب الكاثوليكي في إسبانيا على حساب المذهب الأريوسي، والجهود التي بذلت في هذا السبيل<sup>(٢)</sup>. ومع رواية المؤرخ إلى عودة هذه السفارة تحدث عن الجراد الذي اجتاحت مدينة كاربيتانيا Carpitania من ضواحي مدينة طلميطلة عاصمة القوط وأثر ذلك على النواحي الاقتصادية بالمنطقة وقد أشار إلى أنه استقى هذه المعلومات من السفارة نفسها<sup>(٣)</sup>.

وتناول في هذا الفصل أيضاً وفاة الامبراطور طيبريوس وتحدث عن صفاته الطيبة وترشيحه للإمبراطور موريس Maurice (٥٨٢-٦٠٢م)، وهو على فراش الموت وموافقة الامبراطورة صوفيا Sophia - أرملة جستين الثاني Justin II (٥٦٥-٥٧٨م) - على هذا الترشيح وزواج موريس من ابنته طيبريوس<sup>(٤)</sup>.

G. T., H. F., pp. 348-9. (٢)

G., T. H. F., pp. 358-9. (٤)

G. T., H. F., pp. 327-8. (١)

G. T., H. F., pp. 363-4. (٣)

وكتب المؤرخ في هذا الفصل مسيرة الملك تشيلديبرت إلى إيطاليا عام ٥٨٤م وفزع اللبارد من القوات الفرنجية واستسلامهم له ، وكتب عن الهدايا التي قدمها اللبارد للملك الفرنجي وما تبسح ذلك من إعلان اللبارد الولاء والتبعية للملك تشيلديبرت . كما تناول مشروع الملك الفرنجي عن غزو إسبانيا بعد عودته من إيطاليا . ولما علم الامبراطور موريس بالصلح الذي تم بين الملك تشيلديبرت واللبارد غضب لهذا التصرف لأن موريس كان قد أرسل خمسين ألف قطعة من الذهب من أجل هذا الغزو ، وطالب موريس بأمواله ولكن تشيلديبرت لم يجبه إلى طلبه <sup>(١)</sup>.

كما تحدث عن قدوم سفارة قوطية في سبتمبر عام ٥٨٤ م إلى باريس لمقابلة الملك تشيلديريك <sup>(٢)</sup>. وقدم لنا مادة تاريخية عن إقليم جاليسيا Galicia في عهد حاكمها أنديكا Andica وكيف وصل إلى العرش عندما تزوج من ابنة الملك يورك Euric وما تبلي ذلك من أحداث عندما أجبر أنديكا الملك يورك على الرهينة وحل محله في حكم البلاد <sup>(٣)</sup>.

والفصل السابع يحتوي على سبعة وأربعين موضوعاً . والأحداث المسجلة به تبدأ بموت سلافينوس أسقف مدينة ألب في عام ٥٨٤ م <sup>(٤)</sup>، وتنتهي بالحرب الأهلية التي وقعت في عام ٥٨٥ م <sup>(٥)</sup>. والعديد من الموضوعات التي وردت في هذا الفصل تتعلق بالأحوال الداخلية لدولة الفرنجية والصراع على الحكم . وقد ورد على سبيل المثال الصراع الذي دار بين سكان مدينة شارتر Chartres وأورليان عقيب وفاة الملك تشيلديريك وموقف أرملته فردجوند Fredegund من هذا الصراع وهروبها من مدينة سواسون إلى باريس ومعها كنوزها التي هربت بها عبر أسوار سواسون وطلبها المساعدة من الملك جونترام في أورليان. هذا بالإضافة الى موقف تشيلديبرت الثاني

G. T., H. F., p. 377. (٢)

G. T., H. F., p. 375. (١)

G. T., H. F., p. 385. (٤)

G. T., H. F., pp. 375-6. (٣)

G. T., H. F., pp. 428-9. (٥)

(ت ٥٩٥م) بين فردجوند والجرائم التي عددها لها وطلبه من الملك جونترام تسليمها ورفض جونترام طلب تشيلدبرت الثاني<sup>(١)</sup>. وبقاء فردجوند في باريس واتخاذها من الكنيسة ملاذا لها<sup>(٢)</sup>. ثم تناول الصراع الذي تم بين فردجوند وبين برانيلد Brunhild - أرملة الملك سيجرت والوصية على عرش أستراسيا - وكيف أرسلت فردجوند لمحاولة اغتيالها<sup>(٣)</sup>.

كما تناول المؤرخ في هذا الفصل المجاعة التي عمت غالة بأكملها، وأن الناس لجأوا الى صناعة الخبز من بذور العنب وأنهم اضطروا الى أكل الحشائش وهلاك الكثير من الأهالي إثر هذه المجاعة، كما أن الفقراء باعوا أنفسهم كعبيد من أجل الحصول على لقمة العيش<sup>(٤)</sup>. وختم جريجوري هذا الفصل بالحرب الأهلية التي وقعت في مدينة تور وأن سببها يرجع إلى حادثة قتل، وتناول الآثار التي ترتبت عليها وبين لنا في نهاية هذه الاحداث تدخل الكنيسة بين الأطراف المتصارعة واتخاذها الفتنة وقسم المتخاصمين على عدم إحداث متاعب بعد ذلك<sup>(٥)</sup>.

أما الفصل الثامن فيتضمن ستة وأربعين موضوعاً، ويبدأ برحلة الملك جونترام من مدينة شالون Chalons الى اورليان عبر مدينة نيفر Nevers في عام ٥٨٥م<sup>(٦)</sup> وينتهي بأحداث موت ملك القوط الغربيين ليوفيجيلد Leuwigild عام ٥٨٦ م<sup>(٧)</sup>. ورغم قصر المدة الزمنية التي تناولها المؤرخ جريجوري في هذا الفصل فإنه تناول العديد من الحوادث الداخلية والخارجية للدولة المبروفنجية. ومن أهم ما سجله جريجوري في هذا الفصل الأحداث المتعلقة بالصراع البيزنطي للمبروفنجي في هذه المرحلة وذلك عندما أرسل تشيلدبرت الثاني قواته إلى إيطاليا لمقاومة القوات البيزنطية التي وصلت إلى هناك لمطالبة الملك تشيلدبرت الثاني بالأموال التي أخذها من الامبراطور

G. T., H. F., pp. 398-9. (٢)

G. T., H. F., p. 427. (٤)

G. T., H. F., p. 433. (٦)

G. T., H. F., pp. 389-90. (١)

G. T., H. F., pp. 401-2. (٣)

G. T., H. F., pp. 429-30. (٥)

G. T., H. F., p. 477. (٧)

البيزنطي موريس لمحاربة اللباردين في ايطاليا . وأوضح جريجوري أن سبب إرسال تشيلبرت لقواته يرجع إلى شائعة مرت بأن إنجوند Ingund اخت تشيلبرت الثاني قد حملت أسيرة إلى القسطنطينية وأضاف أن الجيش الميروفنجي عاد أدراجه دون أن يحقق أي نجاح بسبب الخلاف الذي وقع بين القواد<sup>(١)</sup> .

وأوضح في هذا الفصل أيضاً إعداد جونترام لجيشه للتوجه إلى أسبانيا في عام ٥٨٥ م وأنه أسر قواته بالاستيلاء على سبتانيا Septimania التي كانت تحت سيطرة القوط الغربيين على أساس أن هذا الإقليم يحاور لاقليم غالة ، وأوضح لنا استعداد جيش جونترام والحرب الذي لحق ببعض مدن إقليم سبتانيا<sup>(٢)</sup> . واستكلاً لهذه القضية أوضح لنا جريجوري قدوم سفارة من أسبانيا في العام نفسه بقصد عقد السلام مع الملك جونترام وأن السفارة عادت إلى أسبانيا دون أن تحقق أهدافها<sup>(٣)</sup> . وتحدث المؤرخ أيضاً عن قدوم سفارة قوطية أخرى من أسبانيا في عام ٥٨٦ م ، من أجل إقرار السلام بين الملك جونترام والملك القوطي الغربي ليوفيجيلد وعودة السفارة دون التوصل إلى نتائج<sup>(٤)</sup> .

كما أوضح لنا في هذا الفصل أيضاً قيام ريكارد Ricard ابن الملك ليوفيجيلد بالتقدم إلى ناربون Narbonne في عام ٥٨٦ م الواقعة في إقليم سبتانيا وأنه استولى على العديد من الثغام داخل المقاطعات الميروفنجية وعودته إلى إسبانيا<sup>(٥)</sup> .

وتحدث في هذا الموضع عن رسل فردجوند الذين حاولوا إغتيال الملك جونترام والقبض عليهم وإعترافهم بأمرار عملية الاغتيال<sup>(٦)</sup> .

G. T., H. F., pp. 459-62. (٢)

G. T., H. F., p. 470. (٤)

G. T., H. F., pp. 475-6. (٦)

G. T., H. F., pp. 449 50. (١)

G. T., H. F., p. 469. (٣)

G. T., H. F., p. 470. (٥)

وتناول المؤرخ أيضاً في هذا الفصل الأمطار التي اجتاحت البلاد في صيف هذا العام ونحدث عن التخريب الذي ألحقته بالاراضي والعواصف التي صاحبت الأمطار وإغراقها لبعض الزوارق وأن فصل الصيف صار كما لو كان فصل الشتاء<sup>(١)</sup>. وختم الفصل بمرض الملك القوطي الغربي ليفيجيلد بعد سبعة أيام وتولى ابنه ريكارد العرش خلفاً له ، لأن ليفيجيلد كان قد حارب ابنه الأكبر هرمانجيلد وقتله لاعتناقه المذهب الكاثوليكي<sup>(٢)</sup>. فقد كان القوط الغربيون يدينون بالمذهب الأريوسي في هذه المرحلة ، واعتنق ريكارد الكاثوليكية في مرحلة لاحقة في عام ٥٨٧ م<sup>(٣)</sup>.

والفصل التاسع يحتوي على أربعة وأربعين موضوعاً ويبدأ ببعض الأحداث التي وقعت في بقية عام ٥٨٦ م ، المتعلقة بقيام الملك القوطي الغربي ريكارد بإرسال مبعوثيه إلى كل من جونتروم وتشيلدبرت الثاني من أجل اقرار السلام ، بعدما تمكن ريكارد من اقرار السلام داخل دولته القوطية وتصالحه مع زوجة أبيه جويسوينث Goiswinth<sup>(٤)</sup>. وختم هذا الفصل بالأحوال الجوية لعام ٥٩٠ م ، والفيضانات التي أحدثتها الأمطار والخراب الذي أصاب البلاد<sup>(٥)</sup>.

والأحداث التاريخية في هذا الفصل واردة بتفاصيل كثيرة وقد اشتملت على جوانب متعددة في المجال الداخلي والخارجي. ولعل أهم ما ورد في هذا الفصل معاهدة السلام التي عقدها الملك جونتروم مع بقية حكام الفرنجة وهي المعروفة بمعاهدة أندلوت Andelot الموقعة في الثامن والعشرين من نوفمبر عام ٥٨٧ م. وقد أورد المؤرخ جريجوري نص المعاهدة بجميع بنودها<sup>(٦)</sup>.

وفي هذا الموضع يركز جريجوري وهو كاثوليكي المذهب على تحول

G. T., H. F., p. 456. (٢)

G. T., H. F., p. 481. (٤)

G. T., H. F., pp. 493-4, 503-7. (٦)

G. T., H. F., p. 455. (١)

G. T., H. F., p. 497. (٣)

G. T., H. F., p. 539. (٥)

ريكارد ملك القوط الغربيين في إسبانيا من الأروسية إلى الكاثوليكية بعد ما تم لقاء بين بعض رجال الدين من المذهبين واقتناع ريكارد بصحة المذهب الكاثوليكي<sup>(١)</sup>. وبين لنا المؤرخ قيام الملك ريكارد بإيفاد الرسل الى جونتارم وتشيلبرت الثاني بهدف عقد السلام بعد ما اتبع المذهب الكاثوليكي وهو المذهب الذي كان يدين به الفرنجة<sup>(٢)</sup>. وبرز لنا جريجوري توسطه بين الملك جونتارم وتشيلبرت الثاني لحفظ السلام داخل الدولة الميروفنجية بعد ما تعكر صفو السلام بينها، في عام ٥٨٨م ونجاح المؤرخ في هذه المهمة<sup>(٣)</sup>. ولكنه كان نجاحاً جزئياً فقد حدثنا المؤرخ مرة أخرى عن قوة العلاقات بين الملكيين مرة أخرى، وعاود الحديث عن الصراع بين القوط الغربيين والفرنجة وأن جونتارم أعد جيشه للسير الى سبتانيا<sup>(٤)</sup>.

وانتقل للمؤرخ من الحديث عن القوط الغربيين في إسبانيا إلى اللبارد في إيطاليا وسجل لنا قدوم سفارة من الملك اللباردي أوثاري Authari وهو الذي أطلق عليه المؤرخ إسم أبتشار Aptachar (ت ٥٩٠ م) إلى الملك تشيلبرت الثاني بغرض زواج اخت الأخير إلى الأول، وموافقة تشيلبرت على المبدأ ثم ما كان من الحرب التي دارت بين قوات الفرنجة واللبارد وهزيمة الفرنجة شر هزيمة في إيطاليا<sup>(٥)</sup>. وأعقب ذلك بالحديث عن الهدنة التي عقدت بين الطرفين وكيف حافظ اللبارد على السلام<sup>(٦)</sup>.

وقدم جريجوري في هذا الفصل جوانب أخرى غير الجوانب السياسية وسجل لنا أحداث المجاعة التي وقعت في عام ٥٨٧ م<sup>(٧)</sup>، والوباء الذي اجتاح مدينة مرسيليا وأثر ذلك على البلاد<sup>(٨)</sup>. كما صور لنا التعسف الذي مارسه جامعو الضرائب في بعض المدن بغرض جمع الضرائب الجديدة التي فرضها الملك تشيلبرت الثاني<sup>(٩)</sup>.

G. T., H. F., pp. 499-500. (٢)

G. T., H. F., pp. 517-8. (٤)

G. T., H. F., p. 515. (٦)

G. T., H. F., pp. 510-11. (٨)

G. T., H. F., pp. 497-8. (١)

G. T., H. F., pp. 502-3. (٣)

G. T., H. F., pp. 512-3. (٥)

G. T., H. F., p. 500. (٧)

G. T., H. F., pp. 515-7. (٩)



والفصل العاشر والأخير يتكون من واحد وثلاثين موضوعاً ويبدأ بأحداث عام ٥٩٠ م المتعلقة باعتلاء البابا جريجوري الأول (٥٩٠ - ٦٠٤ م) عرش الباباوية في روما والمواظب التي ألقاها البابا في هذه المناسبة<sup>(١)</sup>. وأنهى المؤرخ هذا الفصل بثبت لأسماء الأساقفة الذين تولوا أسقفية مدينة تور منذ عام ٢٤٩ م وهم ثمانية عشر عدداً جريجوري<sup>(٢)</sup>.

واشتمل هذا الفصل على جوانب متعددة كما هي عادة المؤرخ فتكلم عن الأحداث الداخلية والدينية والخارجية. ففي المجال الداخلي والديني تناول المؤرخ قيام الملك تشيلبرت بتخفيف الضرائب المفروضة على رجال الدين في مدينة كليرمونت - فراند<sup>(٣)</sup>. كما تناول الجسدال الذي تم حول طبيعة السيد المسيح وأفرد له صفحات عديدة<sup>(٤)</sup>.

وفي المجال الخارجي قدم لنا المؤرخ مادة تاريخية عن العلاقات البيزنطية وسجل لنا قيام الامبراطور موريس بإرسال إثني عشر رجلاً مكبلين بالحديد بعد إدانتهم بقتل مبعوثي الملك تشيلبرت إلى الامبراطور<sup>(٥)</sup>. وحول العلاقات البيزنطية الميروفنجية تناول المؤرخ عودة جريو Grippو مبعوث الملك تشيلبرت الثاني إلى الامبراطور البيزنطي موريس، وما ذكره جريو عن رحلته التي بدأت عام ٥٩٠ م، وما كان من اتجاهه إلى قرطاجنة Carthage، وانتظاره هناك لحصوله على إذن لمواصلة الرحلة<sup>(٦)</sup>، مما يشير إلى أن الرحلة كانت عن طريق البحر.

كما قدم لنا في المجال الخارجي مادة تاريخية طيبة عن سقوط مدينة أنطاكية عام ٥٧٣ م في يد الفرس. وأخبرنا أنه استقى مادته التاريخية من الأسقف الأرمني سمعان الذي زاره في عام ٥٩١، بعد نفيه من بلاده. وسمعان هذا كان أحد الأمرى الذين سيقوا إلى فارس ثم أطلق سراحه. ومن هنا تأتي أهمية ما سجله جريجوري من سمعان باعتباره أحد شهود العيان<sup>(٧)</sup>.

G. T., H. F., pp. 593-601. (٢)

G. T., H. F., pp. 543-6. (١)

G. T., H. F., pp. 560-6. (٤)

G. T., H. F., pp. 553. (٣)

G. T., H. F., pp. 547-9. (٦)

G. T., H. F., p. 551. (٥)

G. T., H. F., pp. 582-4. (٧)

بعد هذا التحليل لكتاب تاريخ الفرنجة يمكن القول إن جريجوري كان رجلاً متعدد الثقافة واستطاع أن يبرز لنا ملاحظاته عن الأحداث التي جرت في عصره بكل دقة ومهارة ، وأنه كان رجلاً عادلاً واستطاع بشخصيته المتعددة الجوانب أن يقضي فترة أمقيته كرجل أمين عادل ومؤرخ قلما يحود الزمان بمثله .

فقد صور لنا المرض الذي اجتاح إقليم غالة في اغسطس عام ٥٨٠ م وأنه قضى على ١/١٠ من سكان غالة ، وكيف هاجم الوباء الأطفال . وأنه كرجل دين أنهى حديثه بقوله : إن الله أعطى ، إن الله أخذ<sup>(١)</sup> .

كما أوضح لنا الظروف السيئة التي عاشها المواطنون وما كان من فرض ضرائب جديدة عليهم ، وأنه دافع عن أهل مدينة تور وأوضح أن العهد الذي قطعه أهل المدينة للملك تشيلديبرت الثاني يقضي بعدم فرض ضرائب جديدة وأن تستمر فقط الضرائب التي كانت مفروضة منذ عهد الملك لوثير الأول<sup>(٢)</sup> . وحول سوء الأحوال وعدم الاستقرار وصف المؤرخ الحالة بقوله : إنه ما من يوم يمر إلا ونسمع بمقتل شخص ولا تمر علينا ساعة إلا وتحدث ممركة<sup>(٣)</sup> . ولا شك أن جريجوري كان قريباً من رجال الحكم والإدارة ، وأنه عرف كيف يسجل الحوادث بكل دقة .

وتجلى ذلك عندما سجل ما كان يجري في الأديرة ، فكتابات حول هذا الموضوع تبدو كما لو كانت مذكرات يومية ، وإن ما كتبه هو خلاصة تجاربه وملاحظات سنوات عمره ، ويتضح ذلك بصفة خاصة ما كتبه عن الأحداث التي جرت في دير سانت راديجوند St. Radegund في مدينة بواتيه<sup>(٤)</sup> .

ويمكن القول إن جريجوري قد إهتم بهذا الجانب بوصفه أحد رجال الدين . ولكنه رغم كونه رجل دين فقد وصف لنا المعارك العسكرية

G. T., H. F., p. 516. (٢)

G. T., H. F., p. 296. (١)

G. T., H. F., p. 541. (٤)

G. T., H. F., pp. 568-9. (٣)

بنتهى الوضوح والتفصيل . كما أنه صور المنطقة التي حدثت فيها المعارك تصويراً جغرافياً<sup>(١)</sup>، بصورة تجعل القارئ يعيش أجواء المعركة .

وكان جريجوري حريصاً عند روايته للأحداث ولا يصدر الأحكام جزافاً على المادة التاريخية ، فعندما روى مصرع هرمانفرد Hermanfrid ملك ثورنجيا Thuringia ذكر أن أحد الأشخاص دفعه من فوق الأسوار فسقط على الأرض ومات وان الذي دفعه لا نعرفه وأن هناك بعض الناس يقولون إن الملك ثيودريك له ضلع في هذه المؤامرة<sup>(٢)</sup> . وعندما تحدث عن وفاة ليفيجيلد الملك القوطي ذكر أن البعض يقول إنه اعتنق الكاثوليكية وهو على فراش الموت<sup>(٣)</sup> . وكما كان متحفظاً كان جريئاً في حكمه فقد شبه الملك تشيلبريك ووفاته في عام ٥٨٤ م ، بالامبراطور الروماني نيرون Nero (٥٤ - ٦٨ م) ، الذي أحرق روما ، وهيرودس<sup>(٤)</sup> Herod حاكم إقليم يهودا (٣٩ ق.م - ٤٠ م) الذي قتل جميع الصبيان في بيت لحم أيام ولادة السيد المسيح<sup>(٥)</sup> ، ويرجع جريجوري هذا التشبيه إلى سوء مسلك تشيلبريك وخلقه الشرير .

ورغم هذا كله فقد كان جريجوري يميل الى الوصف الخيالي في بعض الأحيان . ويتضح ذلك من حديثه عن الحرب التي دارت بين جيش الملك كلوفس وبين جيش هيرمانفرد ملك الثورنجنين وانهمزام هيرمانفرد وقواته بعد مذبحة رهية عند نهر أنستروت Unstrut وأن جثث الثورنجنين تراكتت في قاع النهر وان جنود الفرنجة كانوا يعبرون عليها كما لو كانت قنطرة<sup>(٦)</sup> .

وقد وقّع المؤرخ جريجوري التوري في بعض الاخطاء ولا يتسع المجال هنا للحديث عنها كلها ، ويكتفي الباحث في هذا البحث بذكر بعضها

G. T., H. F., p. 169. (٢)

G. T., H. F., pp. 417-8, 420-1. (١)

G. T., H. F., p. 379. (٤)

G. T., H. F., p. 477. (٣)

أنظر أيضاً متى : الاصحاح الثاني، ١ - ١٦ .

G. T., H. F., p. 186. (٦)

G. T., H. F., p. 380. (٥)

على سبيل المثال. وقد اختار الباحث خمسة أخطاء تناثرت في ثنايا كتاب تاريخ الفرنجة على مدى ستين عاماً تقريباً، ويقدمها الباحث هنا حسب ترتيبها الزمني.

والخطأ الأول يتعلق بموت آمالاسونثا Amalasuntha ابن ثيودريك ملك القوط الشرقيين، التي أصبحت وصية على ابنها بعد موت والدها في عام ٥٢٦م. فقد ذكر جريجوري أن وفاتها كانت في الحمام عندما سقطت على أرضيته الحجرية وماتت في الحال<sup>(١)</sup>. والحقيقة أن موت آمالاسونثا يرجع إلى مؤامرة دبرها لها زوجها ثيوداهاد Theodahad حتى ينفرد بالحكم مستغلاً معارضة القوط لها. وبناء على أوامر ثيوداهاد تم القبض على آمالاسونثا ونفيت إلى جزيرة في وسط بحيرة بولسنا Bolesna الواقعة في وسط إيطاليا، حيث تم أعدامها بعد ذلك<sup>(٢)</sup> في عام ٥٣١م<sup>(٣)</sup>.

والخطأ الثاني يختص بالملك اللباردي البوين Alboin (٥٦٨-٥٧٢م). وقد ذكر المؤرخ ان البوين قاده اللباردين إلى إيطاليا بهدف الاستقرار بها لذلك جاء مع الجيش الزوجات والأولاد وتم الاستيلاء على الاقليم وظلوا يعيشون فيه فساداً لمدة سبع سنوات سلبوا فيها الكنائس وقتلوا الاساقفة<sup>(٤)</sup>. والمعروف أن البوين دخل إيطاليا في عام ٥٦٨م ومات في عام ٥٧٢م<sup>(٥)</sup>. وأن مدة حكمه في إيطاليا كانت حوالي أربع سنوات كان اللبارد فيها تحت إمرته وليس سبع سنوات كما أوردها المؤرخ. وهناك تفسير آخر لما أورده جريجوري وهو القول أن البوين ومن حكم بعده مارسوا سياسة التخريب لمدة سبع سنوات. ولكن جريجوري وهو معاصر لهذه الأحداث وقريب منها كان يوسع أن يمدنا بمادة تاريخية لا لبس فيها.

والخطأ الثالث مرتبط بموقع مدينة أنطاكية التي سقطت في يد الفرس

(١) G. T., H. F., p. 188. (٢) Moes, op. cit., p. 101.

(٣) إسحق عبيد : من الارك إلى جستنيان ، دار المعارف ١٩٧٧ ص ١٤١.

(٤) G. T., H. F., pp. 235-6.

(٥) وقد إغتاله زوجته روزاموند Rosamund انظر Lot, F., op. cit., pp. 285-6.

عام ٥٧٣م في عهد الامبراطور طيبريوس. وقد أورد المؤرخ أن مدينة أفاميه Apamea في سوريا ومدينة انطاكية في مصر قد سقطتا في يد الفرس وتم أسر العديد من الأهالي<sup>(١)</sup>. والمعروف أن مدينة انطاكية تقع في شمال الشام وليس في مصر. وفي اعتقاد الباحث أن هذا الخطأ هو زلة قلم، فقد تحدث عن القديس جوليان Julian وكنيسته في أنطاكية، ولا شك أن جريجوري وهو من كبار رجال الدين في عصره يعرف بالتحديد مكان مثنوى القديس جوليان.

والخطأ الرابع ينتمي الى الامبراطور البيزنطي جستين الثاني وقد أورد المؤرخ أنه حكم لمدة ثمانية عشر عاماً، وبعد موته تولى التقيصر طيبريوس عرش الامبراطورية<sup>(٢)</sup>. والحقيقة التي اتفق عليها المؤرخون أن الامبراطور جستين الثاني حكم من ٥٦٥-٥٧٧م<sup>(٣)</sup>، وهي مدة تقرب من إثني عشر عاماً وليست ثمانية عشر.

والخطأ الخامس والأخير يتعلق بالشخصية التي خلقت الملك اللباردي أوثاري (أبتشار). وقد روى المؤرخ جريجوري أن أوثاري أرسل سفارة الى الملك جونترام بناء على رغبة الأخير. وبينما كانت السفارة في قصر الملك أتى بعض المبعوثين الى البلاط وذكروا خبر وفاة الملك أوثاري وأن بولس Paul تولى العرش من بعده<sup>(٤)</sup>. والواقع ان الذي تولى عرش اللباردين بعد أوثاري هو أجيلولف Agilulf دوق تورين Turin وحكم من ٥٩٠-٦١٦م<sup>(٥)</sup>.

وبعد ما القينا الضوء على المؤرخ جريجوري التوري وحلنا كتابه تاريخ

G. T., H. F., p. 235.

(١)

G. T., H. F., pp. 292-3.

(٢)

Procopius, op. cit., II, XXVIII, 1-2

(٣) عن موت جستين الثاني أنظر :

Ostrokorsky, History of The Byzantine State, Oxford, 1956, p. 73. راجع أيضاً

G. T., H. F., pp. 551.

(٤)

Thompson, History of The Middle Ages, London 1931, p. 413.

(٥)

الفرنجية تبقى نقطة ثالثة في هذا البحث ، وهي تأريخ جريجوري للملك كلوفس من خلال كتابه تاريخ الفرنجة . وخطة الباحث في هذا الموضوع هو ترجمة ما سجله المؤرخ عن كلوفس ثم القيام بالتعليق على المادة التاريخية عندما يحىب التعليق .

يقول جريجوري في الفصل الثاني - الموضوع السابع والعشرين ، في بداية حديثه عن كلوفس : والحدث الثاني هو موت شيلديرك ، فخلفه ابنه كلوفس على العرش<sup>(١)</sup> . وفي السنة الخامسة من حكمه<sup>(٢)</sup> ، كان سياجريوس Syagrius ملك الرومان<sup>(٣)</sup> ، ابن ايجيديوس Aegidius - يعيش في مدينة سواسون حيث كان والده يتخذها مقراً لحكمه . وقد سار إليه كلوفس واصطحب معه أحد أقرانه وهو راجناتشر Ragnacher الذي كان يتمتع بنفوذ قوي ، وتحدى كلوفس سياجريوس في معركة عسكرية . ولما كان سياجريوس لا يخشى الملك كلوفس فقد خرج للقاتل . وتحارب الطرفان وهُزم سياجريوس هزيمة ساحقة وفر الأخير مسرعاً واتخذ طريقه إلى تولوز Toulouse مقر الملك الأريك الثاني Alaric II<sup>(٤)</sup> . وطلب كلوفس من الأريك تسليم سياجريوس ، وهدده بهاجته إن ظل محتماً به . ولما كان الأريك خائفاً من غضب الفرنجة لأت العناصر القوطية عناصر جبانة ، سلم الأريك سياجريوس مقيداً إلى مبعوثي الملك كلوفس . وعندما أصبح سياجريوس بين يدي كلوفس أمر بسجنه ثم قتله سرّاً بعد ما استولى على ملكه<sup>(٥)</sup> .

(١) مات شيلديرك في عام ٤٨١ م ، وحكم كلوفس من ٤٨٢ - ٥١١ م انظر :

Thompson, op. cit., p. 62.

(٢) عام ٤٨٦ م .

(٣) لم يكن ملكاً للرومان بل كان قائد للقوات الرومانية وحكم الاقليم حكماً مستقلاً مثله في ذلك مثل والده . انظر :

Moss, op. cit., p. 63.

(٤) هو ملك القوط الغربيين وحكم من ٤٨٣ - ٥٠٧ م . وقد تحرك القوط إلى اسبانيا في عهد ابنه عموري . انظر ما يلي ص ٤٠

(٥) بعد هذه الاحداث لم يعد للأمبراطورية البيزنطية ممثل لها في غرب أوروبا انظر :

Duruy, The History of The Middle Ages, New York, 1891, p. 29. =

وفي أثناء ذلك نهبت قوات كلوفس الكثير من الكنائس لأن الملك كلوفس كان لا يزال على عقيدته الوثنية . وقد إستولى الجنود على وعاء كبير الحجم دقيق الصنع وبعض أشياء أخرى ثمينة كانت تستخدم في أعمال الكنيسة . وقد قام أسقف الكنيسة بإرسال الرسل إلى الملك كلوفس يطلب منه إعادة الأشياء المنهوبة ، وإذا تعذر إعادتها كلها فيجب إعادة الوعاء على الأقل إلى الكنيسة .

وقد استمع كلوفس إلى الرسل ووافق على طلبهم وطلب منهم أن يتبعوه إلى مدينة سواسون حيث توزع الأسلاب التي تم الاستيلاء عليها. وأخبر كلوفس الرسل بأنه سيرد لهم الوعاء الذي طلبه الأسقف إذا كان الوعاء ضمن نصيب كلوفس من الغنائم. وعندما وصل الجميع إلى سواسون حيث الأسلاب التي وضعت في كومة واحدة أمام الجميع، طلب الملك كلوفس من رجاله أن يدلوه على مكان الوعاء المطلوب، فأخبروه ان هذا الوعاء ضمن النصيب المخصص له. ولكن كلوفس طلب من رجاله الاشداد ان يوافقوا على منحه الوعاء بالإضافة الى نصيبه المعتاد. وأصغى الجميع الى ما قاله كلوفس ثم قال له بعض الجنود: ان كل ما أماننا هو ملك لك لأن كل الجنود رجالك وتحت إمرتك ولك ان تفعل ما تشاء وليس بوسع أحدا أن يعترض. وأثناء هذا الحدث قام جندي فاشل طماع أهوج ورفع بلطته وضرب الوعاء، وقال للملك كلوفس: ليس لك من هذه الغنائم سوى نصيبك المتعارف عليه، فاندشم الجميع من هذه الكلمات. ولكن كلوفس كتم غيظه في صبر شديد وأخذ الوعاء وسلمه الى مبعوثي الكنيسة بعد ما استنكر في نفسه ما حدث.

وفي نهاية العام<sup>(١)</sup> دعى كلوفس كل رجال جيشه للاجتماع في ساحة

---

= لأن أدراك Odacer ملك اليردول Herule قضى على الامبراطورية في الغرب عام ٤٧٦ م.  
أنظر :

La Monte, The World of The Middle Ages, New York, 1949, p. 10, 41.

(١) ٤٨٦ م.

الاستعراض ليتفقد معدات الجند. وجال الملك بين صفوف قواته للتفتيش حتى وصل إلى الجندي الذي كان قد ضرب الوعاء، وقال له كلوفس: لا يوجد جندي غيرك ومعداته في حالة سيئة مثلك ، فإن رمحك غير مثبت وكذلك سيفك وبلطتك ، ثم أمسك ببلطة الجندي والقي بها على الأرض . وعندما إنحنى الجندي ليلتقط ببطته رفع كلوفس ببطته الحربية وطوح بها في الهواء وهوى بها على رأس الجندي فهشمتها ، وصاح قائلاً : هذا ما فعلته يوعائي في سواسون ومات الجندي . أما الجنود الذين فزعوا من هذا الحادث فقد أمر كلوفس بطردهم من الخدمة العسكرية<sup>(١)</sup>.

ودخل كلوفس في حروب عديدة وانتصر كثيراً ، وفي السنة العاشرة من حكمه غزا ثورنجيا Thuringia وأخضعها لحكمه<sup>(٢)</sup>.

٢٨ - كان ملك برجانديا يدعى جندوبوك Gundioc ويرجع أصله إلى عائلة الملك أثناريك Athanaric الذي عذب للمسيحيين وقد سبق الحديث عنه<sup>(٣)</sup>. وكان لجندوبوك أربعة أولاد هم جندوباد Gundobad ، وجوديجيزل Godigisel ، وشيلبيريك Chilperic وجندومار Gandomar وقد قتل جندوباد أخاه شيلبيريك وأغرق زوجته بوضع حجر في رقبتها ، وأبعد ابنتيه الكبرى وتدعى شروما Chroma التي سلكت الرهبنة ، والصغرى وتدعى كلوتيلد Clotild . وإلى برجانديا كان كلوفس يرسل ببعوثيه من وقت لآخر ، وقد شاهد هؤلاء البعثون كلوتيلد ولاحظوا أنها فتاة صغيرة السن وذكية ولطيفة وإن الدماء الملكية تجري في عروقها ، وقد أخبروا كلوفس بكل

(١) لم تكن سلطات الملك الميروفنجي ذات حدود معينة ، ولكن قصة وعاء سواسون تدل على أن الملك لم يكن فوق القانون . عن ذلك ولزيد من التفاصيل أنظر : كرامب : تراث العصور الوسطى ، ترجمة ومراجعة مجموعة من اساتذة الجامعات المصرية ، القاهرة ١٩٦٧ ج ٢ ، ص ٦٥٦ - ٦٥٧ .

(٢) ٤٩٢ م.

(٣) أثناريك هو أحد زعماء اللوطو وعن تعذيبه للمسيحيين أنظر :

G. T., H. F., pp. 114-4.



ما عرفوه عنها ، وعلى الفور أرسل كلوفس بعض الرسل إلى جندوباد يطلب الزواج منها ، ولم يستطع جندوباد الرضا فوافق على الزواج وسلم كلوتيلد لمبعوثي كلوفس فعادوا بها وقدموها للملكهم . ورغم أن كلوفس كانت له عشيقة أنجبت ولداً يدعى ثيودريك<sup>(١)</sup> ، فإنه تزوج كلوتيلد بعدما شاهدها وأعجب بها .

٢٩ - وكان الطفل الأول الذي وضعته كلوتيلد ذكراً ، وأرادت أن يكون هذا الطفل مسيحياً ويتم تسميته فظلت تحت زوجها الملك كلوفس على الموافقة على ذلك ، وأوضحته له أن الآلهة التي يعبدونها باطلة ، وإنها ليست قادرة حتى على مساعدة نفسها فإنها مصنوعة من الحجر أو الخشب أو بعض قطع المعادن القديمة . وأن أسماءها أسماء بشر وليست أسماء آلهة ، وقدمت له مثلاً عن الإله ساتورن Saturn الذي فر بعيداً من ابنه ليتجنب النفي من المملكة ، والآلهة جوبيتر Jupiter الذي ارتكب الفحشاء بكل أنواعها الدنسة ، ولم يمنع رجاله من فعل المساخر مع أقربائه الإناث ، ولم يتورع عن مضاجعة أخته .

ولكي تدلل على قولها قالت كلوتيلد لكلوفس : ماذا فعل الآلهة مارس Mars والآلهة ميركوري Mercury لأي إنسان ؟ ربما كان لها بعض التأثير بفعل السحر ، ولكنها بكل تأكيد لا تستحق أن تسمى آلهة مقدسة . ويجب عليك أن تعبد الذي خلق العالم من كلمة والسماء والأرض والبحر من لا شيء وفي كل ذلك يكون ، الذي جعل الشمس تسطع ، وأضاء السماء بالنجوم وأسكن البحار بالأسماك والأرض باللوات والسماء بالطيور ، وبارادته تزدهر البساتين بالفاكهة والأشجار بالتفاح والكرمة بالغن ، والذي بيديه خلق بني الإنسان ويعطاهم أكرهت المخلوقات لتخدم في رعاية وطانة من خلقها . وعندما قالت كلوتيلد هذه الكلمات أصبح كلوفس قريباً من الإيمان ، وكان عليه أن يؤمن ، فكل هذه الأشياء من عمل الله ،

(١) مات عام ٥٣٤ م أنظر : G T., H. F., p. 18.

وان آلهة كلوفس لا تستطيع أن تفعل شيئاً بكل تأكيد، وفوق ذلك ليس هناك دليل على أن الأصنام آلهة بالمرّة .

ولما كانت الملكة كلوتيلد واثقة من عقيدتها فقد أعدت ابنها ليتعميده، وقد أمرت أن ترين الكنيسة بالتعاليق والستائر على أمل أن يدخل الايمان قلب كلوفس رغم أنه ظل عنيداً أمام زوجته. وتم تعميد الطفل بإسم إنجومر Ingomer ولكن الطفل ما لبث أن توفي في زي العماد الأبيض. وقد حزن كلوفس حزناً شديداً لوفاة ابنه والقى باللوم على زوجته وقال: لو كان الطفل عمداً لألقي لظلي على قيد الحياة، ولكنه بعد أن عد لأهنتك لم يعش يوماً واحداً. وأجابت كلوتيلد: شكراً لله القدير خالق الأشياء كلها الذي أخذ مني طفلي ولم يرحب به في ملكه بعد ما تكون في رحمي، وانني لن أنجلي عن عقيدتي بسبب ما حدث. وأن ابني الذي رحل عن هذا العالم في رداء العماد الأبيض سيكون في رعاية الله.

وبعد فترة وضعت كلوتيلد ولداً آخر، وعمد تحت اسم شلودومر Chlodomer، وقد مرض الطفل بعد تعميده، وقال كلوفس لكلوتيلد: ماذا كنت تتوقعين غير ذلك، سوف يحدث له مثلاً حدث لأخيه الذي مات بعد ما عمد بإسم السيد المسيح، وصلت كلوتيلد لله وطلبت منه أن يشفي طفلها.

٣٠- واستمرت الملكة كلوتيلد في الصلاة بغية أن يهتدي كلوفس إلى الآله الحق وأن يقلع عن عبادة الأوثان، دون أن يدفعه أحد الى ذلك. وفي النهاية نشبت الحرب بين الفرنجة والالمانى Alamanni<sup>(١)</sup>. وأثناء هذه الحرب تقبل كلوفس عن طيب خاطر ما كان يرفضه من قبل. فقد تحول إلى المسيحية عندما التقى الجيشان في ميدان المعركة وجرت مذبحة

(١) وقعت هذه الحرب في العام الذي اعتنق فيه كلوفس البطانة المسيحية وهو عام ٤٩٦ م. انظر ما يلي ص ٣١ .

رهينة وكادت قوات كلوفس تقف من جرائها. وعندما شاهد كلوفس ذلك شمر بالندم وبكى ورفع رأسه إلى السماء وقال : أيها السيد المسيح ، أنت الذي حدثتني عنك كلوتيلد لتكون ابن الآله الحسي . أنت الذي تعطي المساعدة للمحتاجين والنصر لمن يثقون بك ، أسألك المجد بمساعدتك وإذا أعطيتني النصر على أعدائي . وإذا ما أصبح لدي دليل على قوة هذه المعجزة التي يكرسها البشر لاسمك بعد ما يصبح ذلك واضحاً ، فأنني أؤمن بك وأعد باسمك وأتخلى عن آلهتي . وعندما تساعدني بعد ما تخلت آلهتي عني فبوسعي الاعتقاد أن ليس لآلهتي قوة لمساعدتي . إني أتأكد وأريد أن أؤمن بك ولكن عليك أن تخلصني من أعدائي . وبمجرد أن نطق كلوفس بهذه الكلمات استدار الألمان ولاذوا بالفرار ، وبعد ما شاهد الألمان مقتل ملكهم خضعوا للملك كلوفس<sup>(١)</sup> ، وقالوا له باستعطاف ضع جداً لهذه الجزرة ونحن على استعداد للدخول في طاعتك . وأمر كلوفس بوقف المعركة . وبعد المفاوضات عقدت الهدنة ، وعاد كلوفس إلى منزله واستدعى زوجته وأخبرها كيف أحرز النصر عندما دعا باسم السيد المسيح . وقد حدث ذلك في السنة الخامسة عشر من حكمه<sup>(٢)</sup>.

٣١ - أمرت الملكة كلوتيلد بأحضار ريميغيوس Remigius اسقف مدينة ريمز إليها سراً . وبعد ما حضر الاسقف توسلت إليه أن يلحق الملك كلمة الخلاص . وقد تقابل الاسقف مع الملك كلوفس في مقابلة خاصة وبدأ الاسقف يحث الملك على الاعتقاد في الآله الحقيقي ، خالق السموات والأرض ، وان يتخلى عن عبادة الأوثان التي لا حول لها ولا قوة في مساعدته أو مساعدة أي شخص آخر . وأجاب كلوفس : لقد استمعت إليك عن طيب خاطر ، ولكن هناك مانع واحد . فالرعية لا توافق على

(١) بعد هزيمة الألمان دخلوا تحت حماية ثيودريك ملك القوط الغربيين ، انظر : سيد عبد الفتاح عاشور : أوربا في العصور الوسطى ، القاهرة ، الطبعة السادسة ١٩٧٥ ج ١ ص ٨٥ ولزيد من التفاصيل عن الألمان في هذه المرحلة أنظر : Lot, op. cit., p. 317.

(٢) عام ٤٩٦ م.

ترك عبادة الأوثان ، وعلى أية حال سأوجه إليهم وابلنهم بما قلته .

ونظم كلوفس لقاء مع رجاله ولكن الله بقوته قد سبقه إليهم . وقبل أن يقول كلوفس كلمة واحدة ، صاح الحاضرون صيحة واحدة وقالوا : سنقطع عن عبادة الآلهة الغانية يا ملكنا التقى ، ونحن مستعدون لاتباع الآله الخالد الذي بشر به ريميبيوس<sup>(١)</sup> . وقد مر كلوفس لذلك مروراً عظيماً وأمر بإعداد حوض العماد ، وامتلاً الميدان العام بالناس في ملابسهم الملونة وزينت الكنيسة بالتعليق واعدت أدوات العماد وأحرقت أعواد البخور فلأت المكان بسحب من العطر ، وسطعت أنوار الشموع وامتلاً المكان المبجل الخاص بالعماد براحمة مقدسة ، وملأ الله قلوب الحاضرين بالجلال حتى أنهم تخيلوا أن بعض عطور الجنة قد نقلت إليهم . وطلب الملك كلوفس من الأسقف أن يكون أول من يعمد ، وقد تقدم كلوفس إلى حوض العماد كأنه قسطنطين<sup>(٢)</sup> Constantin الجديد ليتطهر مما علق به من رجس ، ثم لقته الأسقف بعض الكلمات المقدسة وقال له : اعبد ما كنت تتكره ، واقلع عن ما كنت تعبد .

وكان ريميبيوس أسقفاً واسع الثقافة ومدرساً عظيماً أكثر من أي شيء آخر ، كما إنه كان مشهوراً لقداسته ومساوياً للقديس سيلفستر<sup>(٣)</sup> Silvester في المعجزات التي أنجزها . ولا زال لدينا أخبار عن حياته تخبرنا أنه أحيا رجلاً ميتاً . واعترف كلوفس بالإيمان بالله القدير الثالوث المقدس ، وعمد باسم الآب والابن وروح القدس . ومسح بالزيت المقدس بعلامة الصليب . وقد عمد في الوقت نفسه أكثر من ثلاثة آلاف من رجاله ، كما عمدت

(١) يتبين من ذلك أن الأسقف كان يشير بالبيانة المسيحية على المذهب الكاثوليكي بين الفرنجة دون أن يعلم كلوفس ، إن صحت هذه الرواية .

(٢) يقصد المؤرخ تشبيه كلوفس بالإمبراطور قسطنطين الأول ( ٣٠٥ - ٣٣٧ م ) ويتميز المؤرخ جريجوري التوري أن كلوفس هو أداة لتنفيذ رغبات الله .

La Monte, op. cit., p. 46.

(٣) يقصد به البابا سيلفستر الأول ٣١٤ - ٣٣٥ م . وعن حياته انظر :

M<sup>c</sup>Killiam, A Chronicle of Popes, London, 1912, pp. 26-9.

أخته البوفلد Albofled ، ولكنها ماتت بعد قليل وصعدت إلى بارها . وقد أرسل ريميوس مربية إلى كلوفس بهذه المناسبة قال فيها : لقد تأثرت كثيراً واني أبشاطرك الاحزان لفقدان اختك ذات الذكرى الطيبة . وكان لكلوفس اخت أخرى تدعى لانتشيلد Lanthechild وقد تحولت من الوثنية واعتنقت المذهب الأريومي . ولكنها اعترفت بالثالوث المقدس في الله والإبن وروح القدس ، ومسحت بالزيت المقدس .

٣٢- وحوالي ذلك الوقت كان الأخوان جوندوباد<sup>(١)</sup> وجوديميزل<sup>(٢)</sup> يحكمان المنطقة الواقعة حول نهر الرون Rhone والساون Saone ومقاطعة مرسيليا<sup>(٣)</sup> . وكانا يدينان بالمسيحية على المذهب الأريومي مثل الشعوب التي يحكمانها ، وكان كل منهما عدواً للآخر . وعندما جمع جوديميزل بالانتصارات التي أحرزها الملك كلوفس أرسل إليه سرّاً بعض المبشرين وقال له : إذا ساعدتني في مهاجمة أخي حتى أقتله في معركة أو أطرده بعيداً عن البلاد ، فسأدفع لك جزية سنوية تحدد أنت قيمتها . وقد قبل كلوفس العرض بكل ارتياح ووعد بمساعدة جوديميزل عندما تحين الفرصة المناسبة . وعندما حان الوقت المناسب أرسل كلوفس جيشه لمحاربة جندوباد ، وكان الأخير لا يعلم شيئاً عن خيانة أخيه ، لذلك أرسل إليه يطلب مساعدته لمقاومة غزو كلوفس لأراضيهم ، وطلب منه تكوين جبهة واحدة لمقاومة الغزاة الذين يكرهونها ، وذكر له أن عدم الاتحاد معناه الهلاك الذي لقيه الآخرون . وقد أبلغ جوديميزل أخاه جندوباد بأنه قادم إليه مع جيشه للمساعدة . واستعدت الأطراف كلها للقتال ، وسار كلوفس ضد كل من جندوباد وجوديميزل ، وتلاقت الجيوش في مكان حصين هو ديجون<sup>(٤)</sup> Dijon . وعندما بدأت المعركة عند نهر أوخ Ouche إنجبه جوديميزل إلى كلوفس

(١) حكم من ٤٨٠ - ٥١٦ م . انظر : Lot, op. cit., p. 246.

(٢) مات عام ٥٠١ م . انظر : Lot, op. cit., p. 318.

(٣) كانت هذه المنطقة تعرف باسم بروجانديا . انظر ما سبق ص ٢٨ .

(٤) تقع إلى الغرب من نهر الساون وإلى الشمال من مدينة شالون .

وانتدت قواتهما وهزموا جيش جندوباد. وقد لاذ جندوباد بالفرار من أرض المعركة عندما علم بخيانة أخيه الذي لم يكن يشك فيه على الإطلاق، واتخذ طريقه على طول ضفاف نهر الرون حتى وصل الى مدينة أفينيون<sup>(١)</sup> Avignon وتحصن بها. أما جودييجيزل فقد سلم كلوفس بعض أراضي حسب ما وعد به اذا انتصر على أخيه، وعاد جودييجيزل إلى بلاده بسلام ودخل فيينا Vienne آمناً، كما لو كانت حاكماً دائماً لأرضه. واستدعى كلوفس مزيداً من قواته ودفع بها في إثر جندوباد بهدف طرده من مدينة أفينيون وقتله. ولما علم جندوباد بذلك شعر بخيبة الأمل وخشي أن يقتله كلوفس في أي لحظة. وكان يرافق جندوباد أحد المقربين إليه ويدعى أريديوس Aridius، وهو رجل ذكي قدير. واستدعى جندوباد أريديوس وذكر له أنه في مأزق وليس لديه ما يفعله، وإن هؤلاء البرابرة [الفرنجية] قد شنوا الهجوم علينا وإذا قتلت فانهم يستولون على كل الأراضي المجاورة. وطلب جندوباد من أريديوس أن يفعل ما في وسعه لاستعطاف هذا الخلق المتوحش [كلوفس]. واقترح أريديوس أن يهرب إلى كلوفس ويدعي انه انحاز إلى جانبه وهناك يتصرف على ضوء ما يراه خطراً على جندوباد ومملكته، وإن الله سيمنحنا نهاية طيبة إذا نفذت الخطة بكل تفاصيلها. ووافق جندوباد على الخطة وودع أريديوس الذي اتخذ طريقه إلى كلوفس. وهناك ذكر أريديوس له انه خادمه المتواضع وانه ملك ورجع، وقد تخلى عن جندوباد المتكوب وجاء ليلحق بقواته إذا تكرم كلوفس وكان على استعداد لتقبله. وانه سيكون من رجاله المخلصين الثقات ولسلأته أيضاً. وقد قبل كلوفس عرض أريديوس دون تردد وقربه إليه. وكان أريديوس روائياً بارعاً يقدم النصيحة وحلاً للثقة. وقد ظل كلوفس معسكراً بكل قواته حول أسوار مدينة أفينيون. وفي هذه الأثناء قال أريديوس للملك كلوفس: إنك ملك ولك إرادتك الحرة وأرجو أن تتنازل

(١) تقع في الطرف الجنوبي لنهر الرون وشمال مدينة آرل. ونهر الماؤون أحد روافد نهر الرون.

وتقبل مني نصيحة صغيرة ، وإن الإقتراح الذي أعرضه مقيد لك وللدن التي نود إقتحامها ، وما فائدة بقاء كل هذه القوات على أهبة الاستعداد وعدوك آمن في مكان حصين يصعب اقتحامه ، وأن جيشك يخرب الحقول ويتلف المروج ويقطع الكروم ويهلك أشجار الزيتون ويدسر كل الاقليم الحصين ، وإن كل ذلك لا يسبب أي ضرر لجندوباد . لماذا لا ترسل إليه إنذاراً نهائياً تطلب منه أن يدفع جزية سنوية ثابتة ، وهذه الطريقة فأنك تنقذ الاقليم وتخضع لك جندوباد ويدفع الجزية بصفة مستمرة . وقد قبل كلوفس نصيحة أريديوس وأعاد قواته إلى معسكراتها ، ثم أرسل إلى جندوباد يأمره بدفع الجزية ، ووافق جندوباد على ذلك وقدم جزية ذلك العام<sup>(١)</sup> ، ووعد بدفع الجزية في الأعوام المقبلة .

٣٣- بعد هذه الأحداث أحس جندوباد بقوته العسكرية ورفض دفع الجزية التي وعد بها الملك كلوفس ، وأعد جيشه وسار به ضد أخيه جوديخيزل وحاصره داخل مدينة فيينا ، حتى بدأ الأهالي يمانون من قلة المؤن ، وخاف جوديخيزل أن يعاني هو نفسه من نقص المؤن ، لذلك أمر بطرد الأهالي من المدينة ، وطرد معهم المهندس المختص بقناة المدينة العلوية المقامة على الأعمدة . وسخط المهندس لطرده مع الآخرين وذهب إلى جندوباد غاضباً وأشار عليه بالطريقة التي تمكنه من دخول المدينة والانتقام من أخيه . وسارت قوات جندوباد على طول القناة وأمامها بعض الفنينين بالروافع الحديدية . وعند القناة كانت توجد فتحة المياه يسدها حجر كبير ، وتحت إشراف المهندس حركوا هذا الحجر بالروافع الحديدية إلى أحد الجوانب وتسالت القوات إلى المدينة وهاجوا من الحلف المدافعين الذين كانوا يقذفون بالسهم من الأسوار . وسمعت أصوات الاستغاثة من داخل المدينة فهاجم المحاصرون البوابات وحطموها واندفعوا داخل المدينة ووقع من بالمدينة بين ثارين وقطعوا إرباً من القوات المتسللة والقوات المتحكمة بالمدينة . وهرب جوديخيزل إلى أحد كتائس الهراطقة ولكنه قتل داخلها

(١) عام ٥٠٠ ق.م. انظر : Moss, op. cit, p. 76.

ومعه أسقفها الأريوسي . أما الفرنجة الذين كانوا مع جوديجيزل فقد قيدوا معاً في أحد الأبراج وأمر جندوباد بحسن معاملتهم ، وبعد ما جردهم من أسلحتهم أرسلهم إلى الملك الأريك في مدينة تولوز . وفيما يختص بأعضاء مجلس السناتو Senato من الغالين والرومان والبرجنديين الذين كانوا في جانب جوديجيزل فقد تم قتلهم جميعاً . وأن هذه المنطقة التي تسمى برجانديا وضعها جندوباد تحت سلطانه ، وأقر القوانين العادلة ليوقف معاملة الرومان غير العادلة .

٣٤-تحقق جندوباد من أن عقيدته الدينية المهرطقة عديمة الفائدة، واعترف بالسيد المسيح وأن الروح القدس مساوية للآب ، وطلب من قداسة أسقف فيينا أن يعمده ويمسحه بالزيت سرّاً . ولكن الأسقف قال له : إن كنت تعتقد أن الله نفسه قد علمنا فيجب أن تعلنها لأن السيد المسيح قال « فكل من يعترف بي قدام الناس أعترف أنا أيضاً به قدام أبي الذي في السماوات ، ولكن من ينكرني قدام الناس أنكره أنا أيضاً قدام أبي الذي في السماوات »<sup>(١)</sup> . وبالطريقة نفسها أعطى الله النصيحة إلى السيد المسيح والرسل المباركين الذي أحبهم كثيراً وقال « ولكن احذروا من الناس لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس وفي مجامعهم يجلدونكم . وتساقون أمام ولاية وملوك من أجلي شهادة لهم وللامم »<sup>(٢)</sup> . كما قال الأسقف للملك جندوباد : إنك ملك ولا تخشى أحداً ولا تخاف من رجالك وكيف لا تجرؤ على الاعتراف علانية باعتقادك في الخالق لكل شيء . كفاك غباء واعترف أمام الناس بكل ما تقوله وتؤمن به في قلبك لأن القلب يؤمن به البر والقم يعترف به للخلاص ونفس الشيء قاله الرسول « أحمذك في الجماعة الكثيرة في شعب عظيم أسبحك »<sup>(٣)</sup> وقال أيضاً « أحمذك بين الشعوب يا رب . أرني لك بين الأمم »<sup>(٤)</sup> ثم قال الأسقف لجندوباد أيضاً : انت خائف من شعبك ، وإنك لست متأكداً أن الناس سيتقبلون العقيدة

(١) متى : الأصحاح العاشر ٣٢ - ٣٣ . (٢) متى : الأصحاح العاشر ١٧ - ١٨ .

(٣) الزمائر : الزمور ٣٥ ، ١٨ . (٤) الزمائر : الزمور ٥٧ ، ٩٠ .



أكثر منك ، إن الملك يجب أن يكون قدوة لشعبه . وأنت قائد لشعبك  
وانه لن يتسدد عليك وانك تذهب على رأس جيشك عندما تذهب للحرب  
وانه يتبعك حيث تقوده . ولذلك فمن الأفضل أن يتعلموا الصواب منك ،  
افضل من أن يستمروا في خطأهم حتى موتك ، « لا تضلوا الله » (١) ،  
لأنه لا يجب للرجال الذين على مملكته الأرضية أن يرفضوا أن يعترفوا  
به أمام كل العالم . ورغم إقتناع جندوباد بهذه الكلمات فإنه أصر حتى  
نهاية حياته على عناده ورفض أن يعترف علانية بتساوي الثلاث المقدس .

وحوالى ذلك الوقت كان القديس أفيتوس Avitus (٢)

. . . . .  
. . . . .  
. . . . .

٣٥- وعندما لاحظ الاريك الثاني ملك القوط [الغربيين] أن الملك كلوفس  
يقضي على قوة بعد أخرى ، أرسل إليه كاخ عزيز يطلب مقابلته وبعده  
بأن ذلك سيكون أمراً عظيماً . ووافق كلوفس وسافر إليه وتمت المقابلة  
بالقرب من قرية أمبواز Amboise التي تقسع على جزيرة في نهر اللوار  
Loire في مقاطعة تور . وتناقش الاثنان على مائدة الطعام وأقسما على  
صداقة أبدية ثم عاد كل منهما إلى بلاده مرة أخرى بسلام . وحوالى ذلك  
الوقت كان عدد كبير في غالة توافين للدخول تحت حكم الفرنجة .

٣٧- (٣) قال كلوفس لوزرائه : انه من الصعب أن استمر في رؤية الاريوسيين  
يستولون على جانب من غالة ، دعونا نحاربهم وعند هزيمتهم يعون الله  
نستولي على أراضيهم . وقد وافق الجميع على هذا الاقتراح وتجمع الجيش  
وعلى رأسه كلوفس وسار الى بواتيه Poitiers ، وسارت بعض الفرق عبر  
بعض الأراضي التابعة لمدينة تور . ومن أجل قداسة القديس مارتين أمر

(١) رسالة بولس الرسول الى أهل غلاطية : الاصحاح السادس ، ٧ .

(٢) الجزء المخزوف لا يتعلق بالملك كلوفس .

(٣) الموضوع السادس والثلاثون لا يتعلق بالملك كلوفس .

كلوفس قواته بعدم الاستيلاء على شيء من المنطقة عدا المأكّل والمشرب. وقد وجد أحد الجنود بعض العليق وكان يخصّ أحد الفقراء، وقال الرجل الفقير: إن الملك أمر بعدم الحصول على شيء سوى المأكّل والمشرب، فقال الجندي: هذا طعام وبذلك لا نعصى أوامر الملك، ثم أمسك بالرجل وأخذ العليق بالقوة وعندما علم كلوفس بما حدث سل سيفه وقتل الجندي على الفور وقال كلوفس: انه فآل سيء وسنخسر المعركة إذا أزعجنا القديس مارتين، وكان ذلك كافياً لمنع الجيش من سلب أي شيء بالمنطقة. وأعقب ذلك قيام كلوفس بإيفاد بعض الرسل لتقديم الهدايا الى ضريح القديس مارتين . . . . .

وأسرع الجند ولحقوا بجيش كلوفس الذي كان قد وصل الى فيينا، ولم يعرف كلوفس كيف يعبر هو ورجاله النهر [الرون] لأن الأمطار الغزيرة كانت قد ملأت النهر. وصلى كلوفس هذه الليلة حتى يظهر له الله مخاضه يعبر منها بقواته<sup>(١)</sup>. وفي فجر هذا اليوم دخلت مجموعة كبيرة من الارانب كما لو كانت تبصر كلوفس كرجائه في الصلاة. وقد عرف الجنود الطريق الذي عبرت منه الارانب واتبعوه، ثم ساروا تجاه مدينة بواتيه. وعندما كان كلوفس يسكر وجيشه ظهر عامود مضيء من كنيسة سانت هيلاري Hilary، وبدأ يتحرك تجاه كلوفس كعلاقة التأييد من القديس وانه سيتغلب بسهولة على جيش الهراطقة<sup>(٢)</sup>، رغم أن هيلاري نفسه لم يدخل معركة من أجل العقيدة. وحظر كلوفس على قواته أخذ أية أسلاب طوال مسيرتهم أو أن يسلبوا أي انسان ممتلكاته.

وحوالى ذلك الوقت كان يسكن إحدى ضواحي مدينة بواتيه راهب

(١) كان عبور كلوفس بقواته من الشرق إلى الغرب .

(٢) يقصد بهم المؤرخ القوط الغربيين لاعتناقهم المذهب الارومى. ويثل ذلك جانباً من الاساطير التي سجلها المؤرخ .

قديس يدعى ماكسنتيوس Maxentius ، عاش خائفاً من الله ناسكاً في صومعته التي يمكن أن نطلق عليه ديره من باب التجاوز . وعندما شاهد الرهبان فصائل جيش الفرنجة تقترب رويداً من الدير توسلوا إلى مقدم الدير أن يخرج من صومعته ليعطي البركة للجنود ولكنه لم يخرج إلا بعد وقت طويل . ولما كانت الرهبان خائفين فقد اقتحموا الصومعة ودفعوه خارجها ، وقد خرج مقدم الدير وهو لا يخشى شيئاً وسار تجاه القوات كما كان يسألهم عدم مضايقته . فاستل أحد الجنود سيفه لينهال به على رأس ماكسنتيوس ولكن يد الجندي تصلبت عند مستوى إذن القديس وسقط السيف على الأرض فركع الجندي على قدمي القديس وسأله الصفح . وعندما شاهد رفاقه ما حدث عادوا بسرعة إلى صفوف الجيش لأنهم خافوا على حياتهم . ومسح القديس بالزيت المقدس على الجندي ورسم عليه علامة الصليب فسفي في الحال . ونتيجة لما فعله ماكسنتيوس لم يصب الدير بأذى . وكانت له معجزات أخرى ووسع القارئ المجتهد أن يكتشفها إذا بحث في حياته . وقد حدث هذا في السنة الخامسة عشر من حكم كلوفس<sup>(١)</sup>.

وحوالى ذلك الوقت قابل كلوفس الأريك الثاني ملك القوط [الغربيين] في معركة فوايه التي تقع على بعد عشرة أميال من مدينة بواتيه ، وتراشق بعض الجنود بالرمح على مسافات بعيدة ، كما حارب بعضهم ملتحمين وفر القوط كعادتهم وانتصر كلوفس لأن الله كان معه ، ولأنه تحالف مع أحد أبناء سيجيرت الأعرج ويدعى شلودريك Chlodoric ، وكان سيجيرت هذا قد أصابه العرج بعد أن جرح في ركبته أثناء حروبه<sup>(٢)</sup> مع الألمان في غابة زولبيخ Zulpich . وقتل كلوفس الأريك ، وأثناء فرار القوط نشب صراع بين إثنين كان كل منهما يقف في جانب واصطدمت حراهم

(١) ٥٠٧ م.

(٢) يتضح من ذلك أن سيجيرت كان قد تحالف مع كلوفس أثناء حروبه مع الألمان . أنظر ما

سبق ص ٣٠ - ٣١ .

بالمملك كلوفس ولم ينقذه سوى درعه الجلدي وانحراف اتجاه الحصان المسرع وبذلك نجا من الموت باعجوبة. وقد شاركت أعداد كبيرة من مقاطعة أوفرجنات Auvergnat<sup>(١)</sup> الفرنجية في هذه المعركة تحت قيادة أبولينارس Apollinaris لأن قائدهم - وهو أحد أعضاء مجلس السناتو - قد قتل كما فر عموري Amalaric ابن الأريك من أرض المعركة واتجه الى اسبانيا وهناك حكم دولة القوط بعد أبيه<sup>(٢)</sup>. كما أرسل كلوفس ابنه ثيودريك عبر مدينة ألب وروندز Rodez الى مدينة كليرمونت - فرانسد، وقد أخضع ثيودريك كل هذه الأراضي - الى حكم والده. وقد حكم الأريك الثاني احدى عشر عاماً. وامضى كلوفس شتاء هذا العام<sup>(٣)</sup> في مدينة بوردو Bordeaux بعد ما استولى على كل خزائن الملك الأريك التي وجدت في تولوز. وبعد هذه الأحداث اتجه كلوفس الى مدينة انجولم Angoulême. وعند هذه المدينة قدم الله للملك كلوفس برهاناً عندما انهارت اسوار المدينة بسبب ثقلها كانه حاصرهم بداخلها. وقد تمكن كلوفس من طرد القوط خارج المدينة وأخضعها لسلطاته. وبعد هذه الانتصارات عاد كلوفس الى تور حيث قدم كثيراً من الهدايا الى كنيسة القديس مارتين.

٣٨- وصلت الكتب من الامبراطور أنسطاسيوس<sup>(٤)</sup> Anastasius إلى الملك كلوفس تمنحه لقب قنصل<sup>(٥)</sup>. وفي كنيسة القديس مارتين وقف كلوفس مرتدياً عباءته الأرجوانية وزيه العسكري ووضع بنفسه التاج على رأسه، ثم امتطى فرسه ونثر بيده العملة الذهبية والفضية على المحتشدين في الطريق من بوابة كنيسة القديس مارتين حتى كاتدرائية مدينة تور. ومنذ ذاك

(١) هي المنطقة التي تقع فيها مدينة كليرمونت.

(٢) حكم عموري بالاشتراك مع ثيودريك ملك القوط الشرقيين من عام ٥٠٨ - ٥٢٦ تزوج من كلوتيك ابنة الملك كلوفس، ثم حكم منفرداً بعد موت ثيودريك في عام ٥٢٦ إلى ٥٣١ م.

انظر Lot, op. cit., p. 264.

(٣) عام ٥٠٧ م.

(٤) هو أنسطاسيوس الأول ٤٩١ - ٥١٨ م.

(٥) ثم منح كلوفس لقب قنصل مقابل اعلان ولاءه للامبراطور. انظر:

Durny, op. cit., p. 32.

اليوم أصبح يدعى القنصل أوغسطس<sup>(١)</sup> Augustus . ثم ترك كلوفس مدينة تور واتجه إلى باريس ، واتخذها مقراً لركز حكومته .

٤٠(٢) — وأثناء إقامة كلوفس في باريس أرسل إلى شلودريك ابن سيجبرت ملك كلوفي<sup>(٣)</sup> يقول : ان والدك مسن وأعرج ، وإذا مات تكون المملكة حقاً لك ، وإنني أتحالف معك بعد موت والدك . وقد أصيب شلودريك بالذهول بسبب جشعه للسلطة وبدأ يتآمر على موت والده . وذات مرة خرج سيجبرت من مدينة كلوفي وعبر الراين رغبة في التنزه في غابة بوخو Buchau . وعندما استراح سيجبرت في خيمته ساعة الظهيرة ، خصص الابن القتلة لاغتتيال الوالد ليتمكن من حكم المملكة ، ولكن عدالة الله أسقطت الابن في نفس الحفرة التي حفرها لوالده . فقد أرسل شلودريك الرسل إلى الملك كلوفس يعلن موت والده ويبلغه استيلائه على الحكم وطلب من كلوفس أن يوفد إليه الرسل ليقدّم له عن طيب خاطر من كنوز والده ما يشاء ويشكره على حسن نواياه . وقد أجاب كلوفس قائلاً بأنه يجب على شلودريك أن يجعل الرسل تشاهد الكنوز فقط ، وان كلوفس لا يريد منها شيئاً . وقد حضرت رسل كلوفس وأطلعهم شلودريك على كنوز والده وعابنوها وكانت هذه الكنوز موجودة داخل صندوق اعتاد سيجبرت أن يحفظها بداخله . وقد طلب الرسل من شلودريك أن يدخل يده حتى قاع الصندوق ليتبين كمية الكنوز ، وعندما انحنى شلودريك ليفعل ذلك رفع أحد رجال شلودريك يده وبها بلطة ذات شعبتين وهشم بها رأس شلودريك . وكان هذا جزء الابن وقامم الأب مصيره . وعندما سمع كلوفس بقتل كل من سيجبرت وابنه شلودريك سار إلى مدينة كلوفي بنفسه وطلب من سكانها الاجتماع بهم . وقد قال لهم كلوفس

(١) ان العبادة الارجوانية يرتديها الإمبراطرة ، كما ان لقب أوغسطس هو لقب الامبراطور . انظر Ostrogorsky, op. cit., p. 95.

(٢) الموضوع التاسع والثلاثون لا يتعلق بالملك كلوفس .

(٣) هو سيجبرت الاعرج ملك الفرنجة البريون Ripuarian .

عندما انتهت من الابحار في نهر الشلد Scheldt كان شلودريك - ابن ملككم اخي - مشغولاً بالتآمر ضد والده، وصور الأمر على أنني أريد له ذلك. وعندما إنجبه سيجيرت الى غابة بوخو أرسل شلودريك القتل في اثره لاغتيا له. وفي الوقت الذي كان فيه يعرض شلودريك كنوز والده قتله شخص ما. وإنني لست مسؤولاً عما حدث، وليس من حقي أن آخذ بثأر أحد زملائي الملوك لأن ذلك جريمة. وبعد أن أخذت هذه الاحداث مجراها قدم كلوفس نصيحة لاهل مدينة كلوني، وهي أن لهم أن يقرروا ما يشاؤون ولكن عليهم أن يضعوا أنفسهم تحت حمايته. ولما مع أهل كلوني ذلك من كلوفس دفعوا على دروعهم وأعلنوا موافقتهم، ثم حملوا كلوفس على درع ونصبوه حاكماً عليهم. وبهذه الطريقة استولى على مملكة وكوز سيجيرت واخضع شعبه لحكمه، ومع الأيام خضع أعداء كلوفس لسلطانه ونمت قوته لان كلوفس كان يعمل كل ما يرضي الله.

٤١ - واتجه كلوفس بعد ذلك الى شاراريك<sup>(١)</sup> Chararic. لأن كلوفس عندما كان يحارب مياجروس، فان شاراريك هذا وهو الذي تحالف مع كلوفس ظل في أرض المعركة ولم يقدم المساعدة الى أي منها، وظل في انتظار نتيجة هذا الصراع حتى يقدم يد الصداقة الى القائد الذي يحرز النصر. وهذا سبب غضب كلوفس من شاراريك ومهاجمته له. وقد أحاطه كلوفس ببعض الكائن وشد عليه الحصار، وفي النهاية قبض كلوفس على شاراريك وابنه وأمر كلوفس بقص شعرهما، وأجبرهما على الدخول في السلك الكنسي ونصب شاراريك قسيساً وابنه شماساً. وامتلئ شاراريك لما تقرر وانفجر في البكاء، ولكن الابن صاح قائلاً: هذه الأوراق التي قطعت من الشجر لا تزال خضراء نضرة، وستنمو مرة أخرى وتكبر أكثر مما كانت؛ وإن الانسان الذي فعل ذلك هالك لا محالة. وقد وصلت هذه الكلمات إلى مسامع كلوفس، ولما كانت هذه العبارات تفيد بتهديد كلوفس بالقتل بعد ما يثبت شعر شاراريك وابنه، فقد أمر

(١) هو ملك الفرنجة البحرين Salian Franks انظر G. T. H. F., p. 156.

كلوفس بقتلها ، واستولى على أراضيها وملكها وأخضع شعبها لسلطانه .

٤٢ - وحوالى ذلك الوقت كان يعيش في كمبريا Cambrai ملك غارق في الفسق يدعى راجناشار Ragnachar ، الذي لم يمنع يديه من أن تصل إلى نساء عائلته . وكان لهذا الملك مستشار يدعى فارو Farro يعيش نفس المعيشة الدنسة ، ويقال <sup>(١)</sup> : إذا قدم أحد هدية أو طعاماً للملك فإنه يجب أن يكون ذلك كافياً للملك ولمستشاره فارو معاً . وقد أثارت هذه الأفعال الفرنجة الخاضعين له . وقد قدم كلوفس إلى بعض النبلاء في حرم الملك رشوة من الذهب في شكل وباط للسلح وحزام للسيف ليثوروا ضد الملك . والحقيقة إن هذه الهدايا وإن كانت تشبه الذهب إلا أنها كانت من البرنز المطلي بالذهب . وسير كلوفس بعد ذلك جيشه ضد راجناشار فأرسل الأخير جواسيسه ليستطلعوا قوة الغزاة . ولما عاد الجواسيس أخبرت الملك راجناشار أن الغزاة أقوياء على الملك ومستشاره . وبعدما وصل كلوفس أعد جنوده للمعركة ، ولما شاهد راجناشار هزيمة جيشه استعد للهرب . ولكن بعض رجاله قبضوا عليه وقيدوه وسلاحه خلف ظهره وأتوا به ، ومعه أخوه ريشار Richar . وقال كلوفس لراجناشار : لماذا تكره الفرنجة ولا ترضى الخضوع لهم ، لقد كان من الأفضل لك أن تقتل في المعركة واستل بلطته وهشم بها رأس راجناشار . ثم استدأر كلوفس إلى ريشار وقال له : ان وقفت بجانب أخيك لم يكن كبل بهذه الطريقة ثم قتله بضربة أخرى من بلطته . وبعد موت الملك راجناشار وأخيه ريشار اكتشف من خانوها أن الهدايا الذهبية التي أخنوها من كلوفس مزيفة . وعندما اشتكوا إلى الملك كلوفس أجابهم بأن هذا النوع من الذهب مناسب للرجل الذي يخون سيده حتى الموت ، وأضاف أنه من الأفضل لهم أن يقبلوا مثل هذه الهدايا وينجوا بأرواحهم بدلاً من أن يقدموها ثمناً لخيانة ملكهم . وعندما سمعوا ذلك سألوا الملك كلوفس الصفيح ، وقالوا إن الهدايا مناسبة مع الإبقاء على حياتنا . وكان

(١) كلمة يقال علامة تحفظ من المؤرخ جريجوري على ما يقوله من مادة تاريخية. انظر ما سبق ص ٢٣ .

الملك راجنشار وريشار يتان بصلّة القرابة للملك كلوفس . وبناء على تعليماته أيضاً قتل أخوهم ريغنومار Rignomar في مدينة ليان Le Mans ، وبعد مقتل الإخوة الثلاثة إستولى كلوفس على المملكة وعلى كنوزهم . وبنفس الطريقة قتل كلوفس العديد من الملوك وأقاربه الذين توجس منهم خيفة ، أو خشي تأمرهم على عرشه ، وبذلك اتسع ملكه وشمل كل أنحاء غالة . وذات يوم دعا إلى إجتماع كل الموالين له ، وقال ما يفيد إنه حزين على أقاربه الذين قتلوا ، فقد قال : انه لأمر محزن أن أعيش وسط أغراب مثل الناسك المنعزل . وانني لم أترك أحداً من أقاربي ليساعدني عندما يحيق بي الخطر . وأضاف إن حزنه لا يرجع إلى موتهم ولكن إلى الطريقة التي قتلوا بها ، وانه كان يبحث عن قريب باق على قيد الحياة ليقتله .

٤٣- وفي نهاية الأمر مات كلوفس في باريس ودفن في كنيسة الرسل المقدسة<sup>(١)</sup> التي بناها هو وزوجته كلوتيلد ، وقد مات بعد خمس سنوات من معركة فوايه بعد ما حكم ثلاثين عاماً وقد بلغ من العمر خمسة وأربعين عاماً<sup>(٢)</sup>.

وبعد موت كلوفس أتت زوجته كلوتيلد وعاشت بقية حياتها في مدينة تور وأصبحت راهبة في كنيسة القديس مارتين وانتحت هذا المكان ولم تزر باريس بعد ذلك ، وكانت امرأة تتصف بالتواضع وحبها للرحمة .

بما تقدم يتبين لنا أن المؤرخ التوري قدم لنا مادة تاريخية طيبة عن عصر الملك كلوفس بعد وفاة والده عام ٤٨١م ، وإخضاعه نورنجيا عام ٤٩٢م ، وانتصار كلوفس على سيجروس قائد قوات الامبراطورية في معركة سواسون عام ٤٨٦م ، ثم زواج كلوفس والدور الذي لعبته زوجته كلوتيلد حتى اعتنق الديانة المسيحية على المذهب الكاثوليكي عام ٤٩٦م

(١) عرفت بعد ذلك باسم كنيسة القديسة جنيفياف Geneviève

انظر G. T. H., F., p. 153 ، راجع أيضاً :

Attwater, D., A Dictionary of Saints, Penguin Books, 1975, p. 147.



وحروبه مع الالمان في العام نفسه. كذلك قدم لنا معلومات تفصيلية عن حروب كلوفس مع بيجانديا عام ٥٠٠م، وانتصاره في هذا المجال، ثم معاهدة السلام التي وقعها مع الأريك ملك القوط الغربيين، ثم الحرب التي دارت بينها وهزيمة الأخير في معركة فوايه عام ٥٠٧م. أضف إلى ذلك منح الامبراطور انسطاسيوس لقب قنصل للملك كلوفس والدور الذي لعبه كلوفس من أجل توحيد الفرنجة وحروبه مع حكام كلوني وكمبريا وأخيرا وفاته في عام ٥١١م.

والحقيقة أن هذا المؤرخ وإن كان يؤرخ على طريقة الحوليات فإنه لم يلتزم بذلك عند التأريخ للملك كلوفس فقد أورد حروب كلوفس مع ثورنجيا في عام ٤٩٢م قبل الحديث عن أحداث أخرى تتعلق بسنوات سابقة مثل معركة سواسون التي وقعت أحداثها عام ٤٨٦م. كما أنه أفرط في الحديث عن حروب كلوفس ولم يقدم لنا شيئا عن أعماله في المجال الداخلي مثل نظم الحكم والنواحي الاقتصادية وما شابه ذلك من الموضوعات التي تلقي الضوء على المجتمع الفرنجي في عصر الملك كلوفس، والحقيقة الوحيدة التي قدمها لنا المؤرخ في الجانب الحضاري هو بناء كلوفس وزوجته لكنيسة الرسل وقد تحدث عنها عرضاً عند الحديث عن مكان مثواه .





